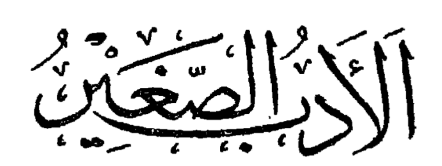
الأدب الصغير



الأدب الصغير

لابى محمد عبد الله بن المقفع « داذويه » الفارسي

الاديب الكاتب المترجم المتوفى

سنة ١٤٧ هجرية

﴿ الطبعة السادسة ﴾



— مقدمة الكتاب —

عبدالله بن المقفع : نابغة النابغين ، وآية السابقين واللاحقين اشتد وراءمن تقدمه من أمراء الكلام، وأهل الحكمة وأصحاب المواهب العالية ، ومن يجرى كلامهم مجرى الامثال ، فكاد يطأ على أعقابهم. وأدهش من عاصره من فحول البلاغة، وأساطين الفصاحة، فلم يفتح فى معارضته فم، ولا صر الى جانب قامه قلم. وأعجز من جاء بعده فلم يطمع فيه طامع ، ولا امتد الى مساماته فى أدبه وحكمته نظر ناظر ، فجرى فى حلبة البلاغة وحيداً ، كما شاء وشاءت له البراعة .

لكل عصر طبقات من أهل الفضل والنبل والذكاء والرجاحة، وفى كل طبقة قوم كثيرون، يتساوون أو يتقاربون . الا أن ابن المقفع وقف وحيداً فى عصره وحيداً فى طبقته لا يضارعه مضارع

ولا يدانيه في منزلته مدان . على أن السليقة العربية ، والحصافة القحطانيـة ، في عصره لم تخمد جمرتها بعـد ، ولا ذبل عودها اللدن ، فكان وقوفه وحده في ذلك العصر احدى الآيات .

ابن المقفع : أخذ عن قومه الفرس الادب والحكمة وقوانين الاجتماع وسياسـة الملك، وتدبير المنزل وآداب المعاشرة ، وكل ما امتازت به أمة الفرس عن سائر الامم من علومها وحكمتها وآدابها وسياستها وتدبيرها ، أخذ كل ذلك وتدبره وتفهمه حتى انطبعت به نفسه ، ثم لحق بالعرب فاخذ عنهم لغتهم ، أصولها وفروعها ، فلو أنه ولد بين أبوين قرشيين على رمال الحجاز ، لم يزده ذلك علما بها وانطباعا عليها .

ولم يكتف بهذا المقدار ، بل انه تتبع كلام فصحاء العرب وأكابرهم ، وأصحاب الحكمة فيهـم ، ومن يرجع الى قوله ويعـمل برأيه ، فحفظ من منثورهم ومنظومهم ما فيـه البلاغ والكفاية ، وما تحفظه يكفي للوقوف في مقدمة أهل الفضـل والادب ، ولذلك فانه كان فريدا في وقته ، لانه لم يتيسر لاحد من الناس الاخذ من آداب الامتين العربية والفارسية ما تيسر له .

يقول الذين ترجموا ابن المقفع وبسطوا أحواله وأخلاقه ، انه كان ذكي القلب ، خفيف الروح ، لطيف المعاشرة ، لا تمل

مجالسته وكأن أشعة روحه الخفيفة قد أشرقت على مؤلفاته ، فالقارئ فيها والناظر اليها ، لا يكاد يشعر بالسآمة والملل مهما أطال النظر فيها ، بل فيها شيء آخر فوق هذا ، وهو أنه قل أن يوجد كتاب يقرأ أكثر من مرة ونشاط القارئ واحد في المرتين ، ومؤلفات ابن المقفع لا يكاد قارئها يشعر بفتور فيها مهما أكثر من قراءتها واطال النظر فيها واعاد قراءتها وكررها .

ومن مؤلفات ابن المقفع التي انار مصباحها للناس هذا الكتاب وهو (الادب الصغير) ولو ان كتابا بعد كتاب الله خلا عن عيب لكان هذا الكتاب ، يقرأ الانسان فصوله القصار فلا يكاد يجتمع الفكر على ما يجد فيها من الفوائد ، فهو وان صغر حجمه خير كتاب اخرج للناس .

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَاجَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غَايَةً ، وَلِكُلِّ غَايَةٍ سَبِيلاً ، وَاللهُ وَقَّتَ لِلأُمُورِ أَقْدَارَهَا ، وَهَيَّأَ إِلَى الْغَايَاتِ (١) سُبُلَهَا ، وَسَبَّبَ الْحَاجَاتِ بِبَلاَغِهَا .

فَغَايَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ صَلاَحُ الْمَعَاشِ (٢) وَالْمَعَادِ وَالسَّبِيلُ إِلَى دَرْكِهَا الْعَقْلُ الصَّحِيحُ ، وَأَمَارَةُ صِحَّةِ الْعَقْلِ اخْتِيَارُ الأُمُورِ بِالْبَصَرِ ، وَتَنْفِيذُ الْبَصَرِ بِالْعَزْمِ .

---

(١) الغايات واحدها غاية : وهي هنا ـ ما لأجله وجود الشيء

(٢) المعاش والمعاد مصدران لعاش يعيش وعاد يعود ويصلحان أن يكونا من أسماء المصادر : والمراد بهما هنا ـ أمرا الدنيا والآخرة .

وَلِلعُقُولِ سَجِيَّاتٌ (١) وَغَرَائِزُ بِهَا تَقْبَلُ الأَدَبَ وَبِالأَدَبِ تَنْمِي الْعُقُولُ وَتَزْكُو.

فَكَمَا أَنَّ الْحَبَّةَ الْمَدْفُونَةَ فِي الأَرْضِ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَخْلَعَ يَبَسَهَا، وَتُظْهِرَ قُوَّتَهَا وَتَطْلُعَ فَوْقَ الأَرْضِ بِزَهْرَتِهَا وَرَيْعِهَا (٢) وَنَضْرَتِهَا وَنَمَائِهَا: إِلاَّ بِمَعُونَةِ الْمَاءِ الَّذِي يَغُورُ إِلَيْهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا، فَيُذْهِبُ عَنْهَا أَذَى الْيَبَسِ وَالْمَوْتِ، وَيُحْدِثُ لَهَا بِإِذْنِ اللهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ فَكَذَلِكَ سَلِيقَةَ

---

(١) السجيات جمع سجية: الخلق والطبيعة ماخوذة من معنى السكون لانها عبارة عن الملكة الثابتة فى النفس. والغرائز واحدتها غريزة: الطبيعة من خير أوشر، وقيل هى ملكة تصدر عنها صفات ذاتية ويقرب منها الخلق الا ان للاعتياد مدخلا فى الخلق دونها.

(٢) الريع: بفتح فسكون من كل شيء أوله وفضله، وهذا المعنى اليق بتنسيق الكتاب من تفسيره بالنماء لمجيئه وسط زهرتها ونضرتها.

الْعقْلِ مَكْنُونَةٌ فِي مغْرِزِهَا مِنَ الْقَلْبِ (١) لاَ قُوَّةَ لَهَا وَلاَ حَيَاةَ بِهَا وَلاَ مَنْفَعَةَ عِنْدَهَا حَتَّى يَعْتَمِلَهَا الأَدَبُ الَّذِى هُوَ نمَاؤُهَا وحَيَاتُهَا وَلَقَاحُهَا (٢)

وَجُلُّ الأَدَبِ بِالْمَنْطِقِ، وَجُلُّ الْمَنْطِقِ بِالتَّعَلُّمِ. لَيْسَ مِنْهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ مُعْجَمِهِ، وَلاَ اسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلاَّ وَهُوَ مَرْوِيٌّ، مُتَعَلَّمٌ، مَأْخُوذٌ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ: مِنْ كَلاَمٍ أَوْ كِتَابٍ.

وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا أُصُولَهَا، وَلَمْ يَأْتِهِمْ عِلْمُهَا، إِلاَّ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

فَإِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَمَلٌ أَصِيلٌ، وَأَنْ

---

(١) السليقة: الطبيعة. والمغرز كمجلس: موضع الغرز.

(٢) النماء: الزيادة وفى نسخة وثمارها والاول اولى لارداقه بالحياة. واللقاح: بالفتح من لقح النخلة اذا ابرها اى وضع طلع الذكور فى الاناث.

يَقُولُوا قَوْلاً بَدِيعًا (١) فَلْيَعْلَمِ الْوَاصِفُونَ الْمُخْبِرُونَ أَنَّ أَحَدَهُمْ — وَإِنْ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ — لَيْسَ زَائِدًا عَلَى أَنْ يَكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوصٍ وَجَدَ يَاقُوتًا وَزَبَرْجَدًا وَمَرْجَانًا، فَنَظَمَهُ قَلَائِدَ وَسُمُوطًا (٢) وَأَكَالِيلَ (٣) وَوَضَعَ كُلَّ فَصٍّ (٤) مَوْضِعَهُ، وَجَمَعَ إِلَى كُلِّ لَوْنٍ شِبْهَهُ، مِمَّا يَزِيدُهُ بِذَلِكَ حُسْنًا، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ صَانِعًا رَفِيقًا، وَكَصَاغَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ صَنَعُوا مِنْهَا مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنَ الْحُلِيِّ وَالآنِيَةِ، وَكَالنَّحْلِ وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أَخْرَجَهَا اللهُ طَيِّبَةً وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا

---

(١) بديعاً : فعيلا بمعنى مفعولا أى مبتدعا .

(٢) القلائد واحدها قلادة بالكسر : مايجعل فى العنق من الحلى . والسموط بالضم جمع سمط بالكسر : العقد المنظوم .

(٣) الاكاليل جمع اكليل : هو شبه عصابة تزين بالجوهر.

(٤) الفص مثلث الفاء : من الخاتم مايركب فيه من المعادن كالياقوت ونحوه .

اللهُ ذُلُلاً (١) فَصارَ ذَلكَ شِفاءً وطَعَامًا و شَرابًا مَنْسُوبًا إِلَيْهَا، مَذْكُورًا بِهِ أمْرُهَا وصَنْعَتُهَا.

فَمَنْ جرَىَ على لِسَانِهِ كَلامٌ يَسْتَحْسِنُهُ أوْ يُسْتَحْسَنُ مِنْهُ فَلاَ يَعْجَبَنَّ إِعْجَابَ الْمُخْتَرِعِ الْمُبْتَدِعِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا اجتَبَاهُ كَمَا (٢) وَصفْنَا.

وَمَنْ أَخَذَ كَلاَمًا حَسَنًا عَنْ غَيْرِهِ فَتَكَلَّمَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ وَعَلى وَجْهِهِ، فَلاَ تَرَيَنَّ عَلَيْهِ في ذَلكَ ضُؤُولَةً (٣) فَإِنَّهُ مَنْ اعينَ على حِفْظِ كَلامِ الْمُصِيبِينَ، وهُدِيَ للاِقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ، وَوُفِّقَ لِلأَخْذِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَلاَ عَلَيْهِ الاَّ يَزْدَادَ فَقَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ، ولَيْسَ بِنَاقِصِهِ فِي

---

(١) سبلا ذللا : أى طريقا سهلا .

(٢) اجتباه : اختاره واصطفاه . وفى نسخة اجتناه : من جنى الثمرة يجنيها اذا تناولها .

(٣) فلا ترين: فى نسخة بالياء بدل التاء . والضؤلة بالضم : الضعف والمذلة .

رَأْيِهِ ، ولاَ غَامِطِهِ (١) مِنْ حَقِّهِ ، أَلاَّ يَكُونَ هُوَ اسْتَحْدَثَ ذَلِكَ وسَبَقَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّما إِحْيَاءُ الْعَقْلِ (٢) الَّذِي يَتِمُّ بِهِ وَيَسْتَحْكِمُ خِصَالٌ سَبْعٌ :(٣) الإِيثَارُ بِالْمَحَبَّةِ والْمُبَالَغَةُ فِي الطَّلَبِ ، وَالتَّثَبُّتُ فِي الاخْتِيَارِ ، والاعْتِيَادُ لِلْخَيْرِ وحُسْنُ الرَّعْيِ ، والتَّعَهُّدُ لِمَا اخْتِيرَ واعْتُقِدَ ، ووَضْعُ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ قَوْلاً وعَمَلاً .

أَمَّا الْمَحَبَّةُ ، فَإِنَّهَا تُبْلِغُ الْمَرْءَ مَبْلَغَ الْفَضْلِ فِي

---

(١) غامطه حقه : اذا جحده ذلك . وفى نسخة ولا بغائضه : أى وليس بناقصه حقه من غاض اذا نقص .

(٢) فانما احياء العقل : فى نسخة وانما حياة العقل والعقل هنا ـ اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتناب الخطا وأفضل مواهب الله لعباده العقل

(٣) فى نسخة خصال ست : واذا لاحظ المطالع التفريع الآتى يقف على الصواب منهما . وفيها من هذه الجملة والاعتقاد بدل الاعتياد وحسن الوعى بدل الرعى : وكلاهما بمعنى الحفظ

كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ حِينَ يُؤْثِرُ بِمَحَبَّتِهِ فَلا يَكُونُ شَيْءٌ أَمْرَأَ ولا أَحْلَى عِنْدَهُ مِنْهُ .

وأَمَّا الطَّلَبُ ، فَإِنَّ النَّاسَ لا يُغْنِيهِمْ حبهُمْ ما يُحِبُّونَ وهَوَاهُمْ ما يَهْوُونَ عَنْ طَلَبِهِ وَابْتِغَائِهِ، ولا تُدْرَكُ لَهُمْ بُغْيَتُهُمْ وَنَفَاسَتُهَا في أَنْفُسِهِمْ ، دُونَ الْجِدِّ والْعَمَلِ .

وأَمَّا التَّثَبُّتُ والتَّخَيُّرُ، فَإِنَّ الطَّلَبَ لا يَنْفَعُ إِلاَّ مَعَهُ وَبِهِ ، فَكَمْ مِنْ طَالِبِ رُشْدٍ وجَدَهُ والْغَيَّ مَعًا، فَاصْطَفَى مِنْهُمَا الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَأَلْغَى الَّذِي إِلَيْهِ سَعَى، فَإِذَا كَانَ الطَّالِبُ يَحْوِي غَيْرَ مَا يُرِيدُ — وهُوَ لا يَشُكُّ في الظَّفَرِ — فَمَا أَحَقَّهُ بِشِدَّةِ التَّبْيِينِ وحُسْنِ الابْتِغَاءِ .

وَأَمَّا اعْتِقَادُ الشَّيْءِ بَعْدَ اسْتِبَانَتِهِ ، فَهُوَ مَا يُطْلَبُ مِنْ احْرَازِ الفَضْلِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ .

وأَمَّا الحِفْظُ والتَّعَهُّدُ : فَهُوَ تَمَامُ الدَّرْكِ(١) لأَنَّ الإِنْسَانَ

---

(١) الدرك بالسكون : اللحاق والوصول الى الشيء

مُوَكَّلٌ بِهِ النِّسْيَانُ والْغَفْلَةُ فَلاَ بُدَّ لَهُ ، إِذَا آجْتَبَي صَوَابَ قَوْلٍ أَو فِعْلٍ ، مِنْ أَن يَحْفَظَهُ عَلَيْهِ ذِهْنُهُ لِأَوَانِ حَاجَتِهِ .

وَأَمَّا الْبَصَرُ بِالْمَوْضِعِ ، فإِنَّمَا تَصِيرُ الْمَنَافِعُ كُلُّها إِلى وَضْعِ الأَشْيَاءِ مَوَاضِعِها .

وبِنا الى هٰذَا كُلِّهِ حاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فإنّا لَمْ نُوضَعْ فِي الدُّنْيا مَوْضِعَ غِنًى وخَفْضٍ ، ولٰكِنْ بِمَوْضِعِ فاقَةٍ وكَدٍّ ، ولَسنا الى مَا يُمسِكُ أَرْماقَنا (١) مِنَ الْمَأْكَلِ والْمَشْرَبِ بِأحْوَجَ مِنَّا إِلى ما يُثَبِّتُ عُقُولنَا مِنَ الأَدَبِ الَّذِي بِهِ تفاوُتُ الْعُقُولِ ، وليْسَ غِذَاءُ الطَّعَامِ بِأَسْرَعَ في نباتِ الجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الأَدَبِ في نباتِ العَقْلِ ، ولسْنَا بِالكَدِّ في طَلبِ الْمَتَاعِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ والغَلَبَةِ (٢) بِأَحَقَّ مِنَّا بِالكَدِّ فِي طابِ الْعِلْمِ الَّذِي يُلْتَمَسُ

(١) الارماق : جمع رمق وهو بقية الحياة .

(٢) فى نسخة والعيلة بالفتح : من عال اذا افتقر .

بِهِ صَلاحُ الدِّينِ والدُّنيا.

وقَدْ وضَعْتُ في هٰذَا الكِتَابِ مِنْ كَلامِ النَّاسِ المَحْفُوظِ حُرُوفًا (١) فِيهَا عَوْنٌ عَلى عِمَارةِ القُلُوبِ وَصِقَالِهَا وتَجْلِيَةِ أَبْصَارِهَا، وإِحْيَاءٌ لِلتَّفْكِيرِ، وإِقَامَةٌ لِلتَّدْبِيرِ ودَلِيلٌ عَلى مَحَامِدِ الأُمُورِ ومَكَارِمِ الأَخْلاقِ إِنْ شَاءَ اللهُ!

الوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ العَارِفِينَ، والعَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الفَاعِلِينَ.

فَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ أَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ امْرِىءٍ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةٌ نَصِيبًا مِنَ اللُّبِّ يَعِيشُ بِهِ، لا يُحِبُّ أَنَّ لَهُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ثَمَنًا، ولَيْسَ كُلُّ ذِي نَصِيبٍ مِنَ اللُّبِّ بِمُسْتَوْجِبٍ أَنْ يُسَمَّى في ذَوِي الأَلْبَابِ، ولا يُوصَفُ بِصِفَاتِهِمْ فَمَنْ رَامَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ الاسْمِ والوَصْفِ أَهْلاً

---

(١) المراد بالحروف هنا: الكلمات المأثورة.

فَلْيَأْخُذْ لَهُ عَتَادَهُ (١) ولْيُعِدَّ لَهُ طُولَ أَيَّامِهِ ، ولْيُؤْثِرْهُ على أَهْوَائِهِ . فَإِنَّهُ قدْ رَامَ أَمْرًا جَسِيمًا لاَ يَصْلُحُ عَلَى الْغَفْلَةِ ولا يُدْرَكُ بِالْمَعْجَزَةِ . ولا يَصِيرُ على الأَثَرَةِ (٢) ولَيْسَ كَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وسُلْطَانِهَا ومَالِهَا وزِينَتِهَا الَّتِي قَدْ يُدْرِكُ مِنْهَا الْمُتَوَانِي مَايَفُوتُ الْمُثَابِرَ (٣) ويُصِيبُ مِنْهَا العَاجِزُ مَايُخْطِئُ الْحَازِمُ .

ولْيَعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أُمُورًا إِذَا ضَيَّعَهَا حَكَمَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ بِمُقَارَنَةِ الْجُهَّالِ .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مُشْتَرِكُونَ مُسْتَوُونَ

---

(١) العتاد بالفتح : التهيؤ والاستعداد للامور والحوادث

(٢) قوله ولا يصير على الاثرة . كذا فى النسختين . ولعلها ولا يصبر بالباء على الاثرة : بفتح الهمزة والثاء من الاستئثار بالشيء وذلك تقديم الانسان نفسه فيا يستاثر به على غيره .

(٣) المثابر : الحريص على الفعل والقول وملازمتهما خلاف المتوانى .

في الحُبّ لِمَا يُوَافِقُ والبُغْضِ لِمَا يُؤْذِي. وَأَنَّ هَـذِهِ مَنْزِلَةٌ آتَّفَقَ عَلَيْهَا الحَمْقَى وَالأَكْيَاسُ(١)، ثُمَّ آخْتَلَفُوا بَعْدَهَا في ثَلاثِ خِصَالٍ هُنَّ جِمَاعُ الصَّوَابِ وجِمَاعُ الْخَطَإِ(٢) وعِنْدَهُنَّ تَفَرَّقَتِ العُلَمَاءُ والجُهَّالُ والحَزَمَةُ والعَجَزَةُ.

البَابُ الأَوَّلُ (٣) مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ العَاقِلَ يَنْظُرُ فِيمَا يُؤْذِيهِ وفِيمَا يَسُرُّهُ. فَيَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ ذَلِكَ بِالطَّلَبِ إِنْ كَانَ مِمَّا يُحِبُّ. وأَحَقَّهُ بالاتِّقَاءِ إِنْ كَانَ مِمَّا يَكْرَهُ أَطْوَلُهُ وأَدْوَمُهُ وَأَبْقَاهُ. وإِذَا هُوَ قَدْ أَبْصَرَ فَضْلَ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا. وفَضْلَ سُرُورِ المُرُوءَةِ عَلَى لَذَّةِ الهَوَى وفَضْلَ الرَّأْيِ الجَامِعِ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الأَنْفُسُ والأَعْقَابُ عَلَى حَاضِرِ الرَّأْيِ الَّذِي يُسْتَمْتَعُ

---

(١) الأكياس جمع كيس بالتشديد: وبالتخفيف العاقل.

(٢) جماع الشيء: جمعه ومنه الخمر جماع الاثم أي جامعة لكل جنس الاثم.

(٣) أي الخصلة الاولى من الخصال الثلاث وهكذا في الثاني والثالث الآتيان.

بِهِ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ . وَفَضْلَ الأَكَلاتِ عَلى الأَكْلَةِ والسَّاعَاتِ علي السَّاعةِ .

البَابُ الثَّاني: أَنْ يَنْظُرَ فِيمَا يُؤْثِرُ مِنْ ذَلِكَ ، فيَضَعَ الرَّجَاءَ والْخَوْفَ فِيهِ مَوْضِعَهُ ، فَلا يَجْعَلُ اتِّقَاءَهُ لِغَيْرِ المَخُوفِ ولاَ رَجَاءَهُ في غَيْرِ المُدْرَكِ فَيَتَوَقَّى عَاجِلَ اللَّذَّاتِ ، طَلَبَاً لآجِلِهَا ، وَيَحْتَمِلُ قَرِيبَ الأَذَى تَوَقِّيَاً لِبَعِيدِهِ . فَإِذَا صَارَ إِلى العَاقِبَةِ ، بَدَا لَهُ أَنَّ فِرَارَهُ كَانَ تَوَرُّطَاً . وأَنَّ طَلَبَهُ كَانَ تَنَكُّبَاً(١).

البَابُ الثَّالِثُ: هُوَ تَنْفِيذُ البَصَرِ بِالعَزْمِ ، بَعْدَ المَعْرِفَةِ بِفَضْلِ الَّذي هُوَ أَدْوَمُ ، وبَعْدَ التَّثَبُّتِ في مَوَاضِعِ الرَّجَاءِ والْخَوْفِ . فَإِنَّ طَالِبَ الفَضْلِ بِغَيْرِ بَصَرٍ ، تَائِهٌ حَيْرَانُ . ومُبْصِرُ الفَضْلِ بِغَيْرِ عَزْمٍ ذُو زَمَانَةٍ (٢) مَحْرُومٌ .

---

(١) التورط : الوقوع فى الامر المشكل . والتنكب عن الشيء العدول عنه (٢) الزمانة : العاهة مطلقا .

وعلى العاقلِ مُخاصمةُ نفسِهِ ومُحاسبتُها، والقضاء عليها والإثابةُ والتنكيلُ بها (١) :

أمَّا المُحاسبةُ، فيُحاسِبُها بمالِها. فإنَّهُ لا مالَ لها الاَّ أيَّامُها المعدودةُ الَّتي ما ذهبَ منها لم يُستخلفْ كما تُستخلفُ النَّفقةُ، وما جُعِلَ منها في الباطلِ لم يرجِعْ الى الحقِّ فيتنبَّهُ لهذِهِ المُحاسبةِ عندَ الحوْلِ اذا حالَ، والشَّهرِ اذا انقضى، واليومِ اذا ولَّى فينظُرُ فيما أفنى منْ ذلكَ، وما كسبَ لنفسِهِ، وما اكتسبَ عليها : في أمرِ الدِّينِ وأمرِ الدُّنيا. فيجمعُ ذلكَ في كتابٍ فيهِ احصاءٌ وجدٌّ، وتذكيرٌ للأمورِ، وتبكيتٌ (٢) للنَّفسِ وتذليلٌ لها، حتَّى تعترفُ وتُذعِنَ

وأمَّا الخُصومةُ، فإنَّ منْ طِباعِ النَّفسِ الآمرةِ بالسُّوءِ

---

(١) التنكيل به اذا صنع به صنيعا يحذر غيره به ويجعله عبرة له.

(٢) التبكيت : التوبيخ وتقبيح الفعل .

ان تدَّعيَ المَعاذِيرَ فيمَا مَضَى، والأَمَانِي فِيمَا بَقِيَ فَيرُدَّ علَيْهَا مَعَاذِيرَهَا وعِلَلَهَا وشُبُهَاتِهَا.

وأَمَّا القَضَاء، فإِنَّهُ يَحْكُمُ فِيمَا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ علىٰ السَّيِّئَةِ بِأَنَّهَا فَاضِحَةٌ مُرْدِيَةٌ مُوبِقَةٌ (١) والْحَسَنَةِ بِأَنَّهَا زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرْبِحَةٌ.

وأَما الإِثَابَةُ والتَّنْكِيلُ، فَإِنَّهُ يَسُرُّ نَفْسَهُ بِتَذَكُّرِ تلك الحسنات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها ويعاقب نفسه بالتَّذَكُّرِ للسَّيِّئَاتِ، والتَّبَشُّعِ بِهَا، والاقْشِعْرَارِ مِنْهَا والْحزنِ لَهَا.

فافْضَلُ ذَوِي الأَلْبَابِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا أَخْذًا وأَقَلُّهُمْ عَنْهَا فِيهِ فَتْرَةً.

وعلىٰ الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوم ولَيْلَة مِرَارًا ذِكْرًا يُبَاشِرُ بِهِ الْقُلُوبَ. ويَقْدَعُ الطِّمَاحَ (٢) فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ

(١) الموبقة بالضم: المهلكة.
(٢) الطماح بالكسر: التكبر والفخر. وقدعه: اذا أسمعه

ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الأَشَرِ(١) وأَمَانًا بِإِذْنِ اللهِ مِنَ الْهَلَعِ

وعلي الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ علي نَفْسِهِ مَسَاوِيهَا في الدِّينِ وفي الاخلاقِ وفي الآدَابِ : فَيَجْمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ في صَدْرِهِ او في كِتَابٍ ، ثُمَّ يُكْثِرَ عَرْضَهُ علي نَفْسِهِ، ويُكَلِّفَهَا إِصْلاحَهُ ويوظف ذلك عليها تَوْظيفا مِنْ اصْلاحِ الْخَلَّةِ والْخَلَّتَيْنِ والْخِلالِ في اليَوْمِ أَوِ الْجُمُعَةِ أَوِ الشَّهْرِ.

فَكُلَّمَا اصلَحَ شَيْئًا ، مَحَاه ، وكُلَّمَا نَظَرَ إلي مَحوٍ آسْتَبْشَرَ . وكُلَّمَا نَظَرَ إلي ثَابِتٍ ، اكْتَأَبَ . (٢)

وعلي الْعَاقِلِ أَنْ يَتَفَقَّدَ مَحَاسِنَ النَّاسِ ويَحْفَظَهَا علي نَفْسِهِ، ويَتَعَهَّدَهَا بِذَلِكَ مِثْلَ الَّذِي وصَفْنَا في إِصْلاحِ الْمَسَاوِي

وعلي الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يُخَادِنَ (٣) ولا يُصَاحِبَ ولا يُجَاوِرَ

مايكره . والمراد منه كف النفس عن الاسترسال في الشهوات.

(١) الاشر محركة : البطر . والهلع : الجزع والفزع .

(٢) اكتاب بمعنى كئب : اذا كان في غم وسوء حال من حزن.

(٣) الخدن : الرفيق أو من يخادنك في كل أمر ظاهرا وباطنا فيكون أعم من الرفيق .

مِنَ النَّاسِ — مَا ٱسْتَطَاعَ إِلاَّ ذَا فَضْلٍ فِى الْعِلْمِ والدِّينِ والأَخْلاَقِ، فَيأْخُذَعَنْهُ. أَوْ مُوَافِقًا لهُ على إِصْلاحِ ذَلِكَ فيُؤَيِّدَ مَاعِنْدَهُ وإِنْ لَمْ يكُنْ لهُ عَلَيْهِ فَضْلٌ.

فإِنَّ الخصَالَ الصَّالِحَةَ مِنَ البِرِّ لا تَحْيَا ولاتَنْمي إِلاَّ بالْمُوَافِقِينَ والْمُؤَيِّدِينَ. ولَيْسَ لِذِى الْفَضْلِ قَرِيبٌ ولا حَمِيمٌ أَقْرَبَ اليْهِ مِمَّنْ وَافَقَهُ على صالحِ الْخِصالِ فَزَادَهُ وثَبَّتَهُ.

ولِذَلِكَ زَعَمَ بَعْضُ الأَوَّلِين أَنَّ صُحْبَةَ بَلِيدٍ نَشَأَ مَعَ العُلَمَاءِ أَحَبُّ اليْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نشأَ مَعَ الْجُهَّالِ.

وعلى الْعَاقِلِ أَنْ لا يَحزَنَ على شَىْءٍ فاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ تَوَلَّى، وأَنْ يُنْزِلَ مَاأَصابَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ مَنْزِلَةَ مالَمْ يُصِبْ ويُنْزِلَ مَا طَابَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْهُ مَنْزِلَةَ مَالَمْ يَطْلُبْ. ولا يدَعَ حَظَّهُ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَقْبَلَ مِنهَا، ولا يَبْلُغَنَّ ذَلِكَ سُكْرًا (١) ولا طُغْيَانًا. فَإِنَّ مَعَ السُّكْرِ النِّسْيان

---

(١) السكر: نقيض الصحو والمراد به الزهو.

ومعَ الطُّغيانِ التَّهاوُنَ . ومَنْ نَسِيَ وتهَاوَنَ خسِرَ .

وعلى العَاقِلِ أنْ يؤْنِسَ ذَوِي الألبَابِ بنفْسِهِ ويُجرِّئهم عليهَا حتى يَصيرُوا حرَسًا على سَمْعِهِ وبَصَرِهِ ورأْيِهِ فيستنيم إلى ذَلِكَ ويُرِيحَ لهُ قَلْبَهُ ، ويعلَمَ أنَّهمْ لا يغفُلونَ عَنْهُ إذَا هوَ غفَلَ عَنْ نفْسِهِ .

وعلى العاقِلِ ما لَمْ يَكُنْ مَغلُوبًا على نَفْسِهِ — ألَّا يَشغَلَهُ شَغْلٌ عَنْ أرْبَعِ ساعَاتٍ : ساعَةٍ يرْفعُ فِيهَا حَاجَتَهُ إلى رَبِّهِ وسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وساعَةٍ يُفْضِي فِيهَا الى إخْوَانِهِ وثِقَاتِهِ الَّذِينَ يَصدُقُونَهُ عَنْ عيُوبِهِ ، ويَنْصَحُونَهُ فى أمْرِهِ ، وسَاعَةٍ يُخلِّي فِيهَا بينَ نَفْسِهِ وبينَ لَذَّتِهَا مِمَّا يَحِلُّ ويَجْمُلُ . فَإنَّ هٰـذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ على السَّاعَاتِ الأُخَرِ . وإنَّ استِجْمَامَ (١) القُلُوبِ وتَوْدِيعَهَا (٢) زِيَادَةُ قُوَّةٍ لهَا وفضْلُ بُلْغَةٍ .

---

(١) الاستجمام : الاستراحة .

(٢) توديعها : الاخلاد بها السكينة والطمانينة .

وعلى العاقل أن لا يكون راغباً إلا في احدى ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة (١) لمعاش، أو لذة في غير محرم.

وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين: فطبقة من العامة، يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحفظ في كل كلمة وخطوة وطبقة من الخاصة، يخلع عندهم لباس التشدد ويلبس لباس الانسة واللطفة والبذلة (٢) والمفاوضة، ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحداً من الألف، وكلهم ذو فضل من الرأي، وثقة في المودة، وأمانة في السر ووفاء بالإخاء.

على العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطإ في الرأي والزلل في العلم، والإغفال في الأمور. فإنه من استصغر

---

(١) المرمة: بتشديد الميم من قولهم رم شانه أي أصلحه.

(٢) البذلة من الثياب بالكسر: مايستعمل كل يوم والمراد به هنا ترك التصاون وان يعمل عمل نفسه.

الصَّغيرَ أَوْشَكَ أَنْ يَجْمَعَ اِلَيْهِ صَغيرًا وصَغيرًا ، فإِذَا الصَّغيرُ كَبيرٌ . وإِنَّمَا هِيَ ثُلَمٌ يَثْلِمُهَا العَجْزُ والتَّضْيِيعُ . فاذَالَمْ تُسَدَّ أَوْشَكَتْ أَنْ تَتَفَجَّرَ بِما لا يُطاقُ . ولمْ نَرَ شيْئًا قطُّ الاَّ قدْ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الصَّغيرِ المُتَهَاوَنِ بِهِ ، قَدْ رأَيْنا المُلْكَ يُؤْتَى مِنَ الْعَدُوِّ الْمُحْتَقَرِ بِهِ ، ورَأَينا الصِّحَّةَ تُؤْتَى مِنَ الدَّاءِ الَّذِى لا يُحْفَلُ بِهِ ، ورأَيْنا الأَنْهَارَ تَنْبَثِقُ (١) مِنَ الْجَدْوَلِ (٢) الَّذِى يُسْتَخَفُّ بِهِ .

وأَقلُّ الأُمُورِ احْتِمالاً لِلضَّياعِ المُلْكُ ، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَضِيعُ — وإِنْ كَانَ صَغيرًا — الاَّ اتَّصَلَ بِآخَرَ يَكُونُ عَظِيمًا .

وعلى الْعَاقِلِ أَنْ يجْبُنَ عَنِ المُضِيِّ على الرَّأْيِ الَّذِى لا يَجِدُ عَلَيْهِ مُوَافِقًا وإِنْ ظنَّ أَنَّهُ على اليقينِ ،

---

(١) انبثق عليهم الماء : اذا خرق الشط وكسر السد فجرى من غير فجر . (٢) الجدول : النهر الصغير

وعلى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ أَنّ الرَّأْيَ والهَوَى مُتَعَادِيَانِ، وَأَنَّ مِن شَأْنِ النَّاسِ تَسْوِيفَ(١) الرَّأْيِ وإِسْعَافَ الْهَوَى. فَيُخَالِفَ ذَلِكَ. ويَلْتَمِسَ أَنْ لا يَزَالَ هَوَاهُ مُسَوَّفًا ورَأْيُهُ مُسْعَفًا.

وعَلَى الْعَاقِلِ إِذَا اشْتَبَهَ عليْهِ أَمْرَانِ. فَلَمْ يَدْرِ فى أَيّهما الصَّوَابُ أَنْ يَنْظُرَ أَهْوَاهُمَا عِنْدَهُ. فيحْذَرَهُ.

ومَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فى الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ وتَقْوِيمِهَا في السِّيرَةِ والطُّعْمَةِ (٢) والرَّأْيِ واللَّفْظِ والأَخْدَانِ. فَيَكُونَ تَعْلِيمُهُ بِسِيرَتِهِ أَبْلَغَ مِن تَعْلِيمِهِ بِلِسَانِهِ فَإِنَّهُ كما أَنَّ كَلاَمَ الْحِكْمَةِ يُونِقُ (٣) الأَسْمَاعَ،

---

(١) التسويف: المطل بالقول مرة بعد مرة سوف أفعل.

(٢) الطعمة بالضم: وجه الكسب وبالكسر النوع يقال فلان حسن الطعمة أى السيرة فى الأكل.

(٣) يونق مضارع آنق: يعجب. ومثله. يروق.

فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

ولاية الناس بلاء عظيم. وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان وأركانه التي بها يقوم وعليها يثبت: الاجتهاد في التخير، والمبالغة في التقدم والتعهد الشديد والجزاء العتيد.

فأما التخير للعمال والوزراء، فإنه نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر. فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا. لأنه من كان من العمال خيارا فسيختار كما اختير. ولعل عمال العامل وعمال عماله يبلغون عددا كثيرا. فمن تبين التخير فقد أخذ بسبب وثيق؛ ومن أسس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قواما(١)

---

(١) القوام بالكسر: نظام الامر وعماده الذى يقوم به.

وَأَمَّا التَّقْدِيمُ والتَّوْكِيدُ ، فَإِنَّهُ لَيَسَ كلُّ ذِى لُبٍّ أَوْ ذِى أَمَانَةٍ يَعْرِفُ وُجُوهَ الأُمُورِ والأَعْمَالِ ولَوْ كَانَ بِذَلِكَ عَارِفًا ، لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ حَقِيقًا أَنْ يَكِلَ ذَلِكَ إِلى عِلْمِهِ دون توقيفه عليه وتَبْيِينِهِ لهُ والاحْتِجَاجِ عَلَيْهِ بِهِ .

وأَمَّا التَّعَهُّدُ فَإِنَّ الْوَالِىَ إِذَا فعَلَ ذَلِكَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، وإِنَّ الْعَامِلَ إِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ كَانَ مُتَحَصِّنًا حَرِيزًا .

وَأَمَّا الْجزَاءُ ، فَإِنَّهُ تَثْبِيتُ الْمُحْسِنِ ، والرَّاحَةُ مِنَ الْمُسِيءِ .

لا يُسْتَطَاعُ السُّلْطَانُ إِلاَّ بِالْوُزَرَاءِ والأَعْوَانِ ، ولا يَنْفَعُ الْوُزَرَاءُ إِلاَّ بِالْمَوَدَّةِ والنَّصِيحَةِ ، ولا الْمَوَدَّةُ إِلاَّ مَعَ الرَّأْىِ والْعَفَافِ .

وأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ ، وقَلَّمَا تَسْتَجْمِعُ الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ أَحَدٍ . وإِنَّمَا الْوَجْهُ فى ذَلِكَ والسَّبِيلُ الَّذِى بِهِ يَسْتَقِيمُ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صاحِبُ السُّلْطَانِ عَالِمًا بِأُمُورِ مَنْ

يُرِيدُ الاَسْتِعَانَةَ بِهِ ،ومَا عِنْدَ كلّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ والغَنَاء وما فِيهِ مِنَ العُيُوبِ ، فَإِذَا آستَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وعِلْمِ مَنْ يَأْتَمِن وجَّهَ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ والنَّجْدَةِ وَالأَمَانَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ . وأَنَّ مَافِيهِ مِنَ العُيُوبِ لا يَضُرُّ بِذَلِكَ ، ويَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوَجِّهَ أَحَدًا وجْهًا لا يُحْتَاجُ فِيهِ الى مُرُوءَةٍ — ان كَانَتْ عِنْدَهُ ولاَ يَأْمَنُ عُيُوبَهُ ومَا يُكْرَهُ مِنْهُ .

ثُمَّ على المُلُوكِ بَعْدَ ذَلِكَ تَعَاهُدُ عُمَّالِهِمْ ، وتَفَقُّدُ أُمُورِهِم حَتَّى لا يَخْفَى عَلَيْهِمْ احْسَانُ مُحْسِنٍ ، ولاَ إِسَاءَةُ مُسِيءٍ.

ثُمَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ، أَنْ لا يَتْرُكُوا مُحْسِنًا بِغَيْرِ جَزَاءٍ ولاَ يُقِرُّوا مُسِيئًا ،ولاَ عَاجِزًا عَلَى الإِسَاءَةِ والعَجْزِ فَانَّهُم انْ تَرَكُوا ذَلِكَ ، تَهَاوَنَ المُحْسِنُ ، واجْتَرَأَ المُسِيءُ وفَسَدَ الأَمْرُ وضَاعَ العَمَلُ.

اقتصارَ السَّعْيِ ابقاءٌ للْجمَام (١). في بُعْدِ الْهِمَّةِ يكُونُ النَّصَبُ. ومَنْ سَأَلَ فوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الحِرْمَانَ، وسُوءُ حَمْلِ الغِنَى، أَنْ يكُونَ عِنْدَ الفَرَحِ مَرِحًا، وسُوءُ حَمْلِ الفَاقَةِ أَنْ يكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرِهًا، وعَارُ الفَقْرِ أَهْوَنُ من عَارِ الغِنَى، والحاجَةُ مَعَ المَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الغِنَى مَعَ البِغْضَةِ.

الدُّنْيَا دُوَلٌ. فمَا كَانَ لَكَ مِنهَا اتَاكَ على ضَعْفِكَ وما كَانَ عليْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

اذَا جُعِلَ الكَلَامُ مَثَلاً، كَانَ ذَلكَ أَوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ وَأَبْيَنَ فِي المَعْنَى، وَآنَقَ لِلسَّمْعِ، وأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الحَدِيثِ (٢)

أَشَدُّ الفَاقَةِ عَدَمُ العَقْلِ، وأَشَدُّ الوَحْدَةِ وحْدَةُ اللَّجُوجِ (٣) ولا مَالَ أَفْضَلُ مِنَ العَقْلِ، ولا أَنِيسَ آنسُ مِنَ الاستشَارَةِ

---

(١) الجمام: مثل الاستجمام وتقدم معناه.

(٢) آنق مثل بونق: وتقدم معناه. وشعوب الحديث: طرقه

(٣) اللجوج: المتمادى فى العناد الى الفعل المزجور عه.

مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ صَلاحُ الصَّالِحِ وحُسْنُ نَظَرِهِ لِلنَّاسِ، أَنْ يكُونَ اذَا آسْتَعْتَبَ المُذْنِبَ ستُورًا، لايُشِيعُ ولا يُذِيعُ. واذَا آسْتُشِيرَ سَمْحًا بِالنَّصِيحَةِ مُجْتَهِدًا لِلرَّأْيِ، واذَا آسْتَشَارَ مُطَّرِحًا للْحَيَاءِ مُنَفِّذًا للْحَزْمِ مُعْتَرِفًا للْحقِّ.

القِسْمُ (١) الَّذِي يقْسَمُ لِلنَّاسِ ويمْتَعُونَ بِهِ نَحْوَانِ فَمِنْهُ حارِسٌ ومِنْهُ مَحْرُوسٌ. فالحارِسُ العَقْلُ. والمَحْرُوسُ المَالُ والعَقْلُ — بِإِذْنِ اللهِ — هوَ الَّذِي يُحْرِزُ الحظَّ، ويُؤْنِسُ الغُرْبَةَ، ويَنْفِي الفَاقَةَ، ويُعَرِّفُ النَّكِرَةَ ويُثَمِّرُ المَكْسَبَةَ ويُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ. ويُوَجِّهُ السُّوقَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ، ويَسْتَنْزِلُ لِلسُّلْطَانِ نَصِيحَةَ السُّوقَةِ ويكْسِبُ الصَّدِيقَ ويكْفِي العَدُوَّ.

كَلامُ اللَّبِيبِ، وانْ كَانَ نَزْرًا، أَدَبٌ عَظِيمٌ. ومُقَارَفَةُ المَأْثَمِ، وإِنْ كَانَ مُحْتَقَرًا، مُصِيبَةٌ جَايِنَةٌ. ولِقَاءُ الاخْوَانِ وانْ كَانَ يَسِيرًا، غُنْمٌ حَسَنٌ.

---

(١) القسمة : العطاء او الرزق وهو مفرد لا جمع له .

قَدْ يَسْعَى الى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ. أَمَّا الصَّالِحِ فَمَدْعُوٌّ. وأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ، وأَمَّا ذو الأَدَبِ فطَالِبٌ. وأَمَّا مَنْ لا أَدَبَ له فَمُخْتَلِسٌ، (١) وأَمَّا القَوِيُّ فَمُدَافِعٌ واَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ، وأَمَّا المُحسنُ فَمُسْتَثِيبٌ. وأَمَّا المُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ، فَهُوَ مَجْمَعُ البَرِّ والفاجِرِ، والعالِمِ والجاهِلِ، والشَّرِيفِ والوَضِيعِ،

النَّاسُ — الاَّ قليلاً مِمَّنْ عَصَمَ اللهُ — مَدْخُولُون فى أُمُورِهِمْ: فقائِلُهُمْ باغٍ، وسامِعُهُمْ عَيَّابٌ، وسائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، وواعِظُهُمْ غيرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بالفِعْلِ، ومَوْعُوظُهُمْ غيرُ سَلِيمٍ منَ الاسْتِخْفافِ، والأَمِينُ مِنْهُمْ غيرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ اتْيانِ الخِيانَةِ، والصَّدُوقُ غيرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الكَذَبَةِ وذُو الدِّيْنِ غيرُ مُتَوَرِّعٍ عَنْ تفْرِيطٍ

---

(١) فى نسخة محتبس بفتح الباء: وهو الممنوع.

الفجرة، والحازمُ منهمْ غيرُ تاركٍ لتوقُّع الدَّوائر.

يتناقضون البناء ، ويتراقبون الدُّول، ويتعايبون بالهمز مُولعون في الرَّخاء بالتَّحاسُد ، وفي الشِّدَّة بالتَّخاذُل(١).

كم قد انتزعت الدُّنيا ممَّن استمسكن منها واعتكفت له ! فأصبحت الأعمالُ أعمالهم والدُّنيا دُنيا غيرهم وأخذ متاعهم من لم يحمدهم، وخرجوا الى من لا يعذرهم

فأصبحنا خلفًا من بعدهم، نتوقَّع مثل الّذي نزل بهم فنحنُ اذا تدبَّرنا أُمورهم ، أحقَّاء أنْ ننظرَ ما نغبطهُم به فنتبعهُ وما نخافُ عليهم منه فنجتنبهُ .

كان يُقالُ : انَّ اللهَ تعالي قد يأمُرُ بالشَّيء ويبتلي بثقله وينهي عن الشَّيء ويبتلي بشهوته .

فاذا كُنتَ لا تعمَلُ من الخير الاَّ ما اشتهيتَه ولا تتركُ من الشَّرّ الاَّ ما كرهتهُ ، فقد أطلعتَ الشَّيطان علي عورتك

---

(١) نسخة : يراعون في الرخاء بالتحاسد وفي الشدة بالتجاذب

وأمْكنتَهُ مِنْ رُمَّتِك (١) فأَوْشكَ أنْ يقتحِمَ عليكَ فيما تُحِبُّ مِنَ الخيرِ فيُكرِّههُ اليكَ ، وفيما تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ فيُحبّبهُ اليْك ، ولٰكِنْ ينبغي لكَ في حبِّ ما تُحِبُّ مِنَ الخيرِ التَّحامُلُ على ما يُسْتثقلُ مِنْهُ وينبغي لكَ في كراهةِ ما تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ التجنُّبُ لما يُحَبُّ منه .

الدُّنيا زُخْرُفٌ (٢) يغلِبُ الجوارحَ ، ما لمْ تغلبْه الألْبابُ ، والحكيمُ مَنْ يغْضي عنهُ (٣) ولمْ يشْغلْ بهِ قلْبَهُ اطَّلعَ مِنْ أدْناه فيما وراءَه . وذكرَ في بدئهِ لواحِقَ شرِّه . فأكلُّ مُرَّه وشرِبَ كدرَهُ ليحْلوْ لىَ لهُ ويَصفُوَ في طُولٍ مِنْ اقامةِ

---

(١) من رمتك : الرمة القطعة من الحبل والمراد به المقود وفى نسخة من ازمتك جمع زمام : وهو المقود ايضا والمعنى جعلت له الامر يقضى فيك بما يشاء .

(٢) الزخرف : فى الاصل الذهب ثم شبه كل مموه مزور به .

(٣) نسخة : من لم يغتر عليه .

العَيْش الَّذِي يبقى ويدُومُ غيرَ عائِفٍ لِلرُّشْدِ انْ لمْ يَلْقَه بِرِضاهُ .ولمْ يأْتِهِ مِنْ طرِيقِ هوَاهُ.

لا تَأْلَفِ المُسْتَوْخِمَ (١) ولا تُقِمْ علي غيرِ الثِّقَةِ.

قدْ بلغَ فضْلُ اللهِ على النَّاس منَ السَّعةِ و بلَغَتْ نِعْمَتُهُ عليهِمْ منَ السُّبُوغِ (٢) مالوْ أنَّ أخسَّهُمْ حظًّا وأقَلَّهمْ مِنْهُ نصِيبًا وأضْعَفَهُمْ عِلْمًا وأعْجَزَهمْ عَملاً وأعْيَاهُمْ لِسانًا بلَغَ منَ الشُّكْرِ له والثَّناء عليْه بما خاصَ اليْهِ مِنْ فضْله ووصلَ اليْهِ مِنْ نِعْمَتِهِ ما بلَغَ لهُ منهُ أعْظَمُهُمْ حَظًّا وأوْفَرُهُمْ نَصيبًا وأفْضَلُهُمْ عِلْمًا وأقْوَاهُمْ عَملاً وأبْسَطُهُمْ لِسانًا ، لَكانَ عَمَّا آستَوْجَبَ اللهُ عليْهِ مُقَصّرًا وعنْ بُلُوغِ غايَةِ الشُّكرِ بعيدًا .

---

(١) المستوخم : بكسر الخاء الرجل الثقيل

(٢) السبوغ : السعة واتمام النعمة .

ومنْ أَخَذَ بحَظّهِ منْ شُكْرِ اللهِ وحَمْدِهِ ومعرفةِ نِعَمِهِ والثَّنَاءِ عليهِ والتَّحْميدِ لهُ، فقدِ آستَوْجبَ بذَلكَ منْ آدَائهِ الى اللهِ والقُرْبَةِ عِنْدَهُ والْوَسيلةِ إليهْ والمزيدِ فيما شكَرَهُ عليهِ مِنْ خيرِ الدُّنيا وحُسْنِ ثوَابِ الآخِرَةِ.

أَفْضَلُ ما يُعَلَّمُ بِهِ علمُ ذِي العِلْمِ، وصلاحُ ذِي الصَّلاحِ أَنْ يستَصْلِحَ بما أُوتِيَ منْ ذلكَ ما آستَطَاعَ مِنَ النَّاسِ. ويُرَغِّبَهُمْ فيما رغِبَ فيهِ لنَفْسِهِ منْ حُبِّ اللهِ، وحبِّ حِكْمَتِهِ والْعَمَلِ بطاعتِهِ. والرَّجاءِ لحُسْنِ ثوَابِهِ فى المَعادِ اليْهِ. وأَنْ يُبيِّنَ الَّذي لهُمْ منَ الأَخْذِ بذلكَ والَّذي عليهِمْ فى تركِهِ وانْ يُوَرِّثَ ذلكَ أَهْلَهُ ومَعارِفهُ لِيَلْحَقَهُ أَجرُهُ منْ بعْدِ المَوْتِ.

الدِّينُ أَفضَلُ المَواهِبِ الَّتي وصلَتْ منَ اللهِ الي خلقهِ. وأَعظمُها منفَعَةً. وأَحْمَدُها فى كُلِّ حكْمَةٍ. فقدْ بلغَ فَضْلُ الدِّينِ والحِكْمَةِ أَنْ مُدِحَا علي أَلسنةِ الجُهَّالِ، علي جَهالتِهِمْ

بهما ، وعماهم عنهما .

أحق الناس بالسلطان أهل المعرفة وأحقهم بالتدبير العلماء ، وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله ، وأحقهم بالعلم أحسنهم تأديبا . وأحقهم بالغنى أهل الجود ، وأقربهم الى الله أنفذهم في الحق علما وأكملهم به عملا ، وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله ، وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله ، وأشدهم انتفاعا بعلمه أبعدهم من الأذى ، وأرضاهم في الناس أفشاهم معروفا ، وأقواهم احسنهم معونة وأشجعهم أشدهم على الشيطان ، وأفلجهم بحجة (١) أغلبهم للشهوة والحرص ، وآخذهم بالرأي أتركهم للهوى وأحقهم بالمودة أشدهم لنفسه حبا ، وأجودهم أصوبهم بالعطية موضعا ، وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالا ، واقلهم دهشا ارحبهم ذراعا ، واوسعهم غنى

---

(١) وافلجهم بحجة : اى اظهرهم

أقنعُهم بما أُوتيَ، وأخفضُهم عَيْشًا أبْعَدُهم مِنَ الإفراطِ، وأظهَرُهم جمالاً أظهرُهم حصافةً (١) وآمَنُهم في النّاسِ أكلُّهم نَابًا ومخلبًا (٢) وأثبَتُهم شهادةً عليهم أنطقُهم عنهم، وأعدَلُهم فيهم أدْوَمُهم مُسالمةً لهم، وأحقُّهم بالنِّعَمِ اشكَرُهم لما أُوتيَ منها.

أفضلُ ما يُورثُ الآباءُ الأبناءَ الثّناءُ الحَسَنُ والأدبُ النّافعُ والإخوانُ الصّالحُونَ.

فَصلُ ما بَيْنَ الدِّينِ والرَّأيِ، أنَّ الدِّين يَسلمُ بالإيمانِ وأنَّ الرَّأيَ يثبُتُ بالخصومةِ، فمَن جعلَ الدِّينَ خصومةً، فقد جَعَلَ الدِّينَ رأيًا، ومَنْ جعلَ الرَّأيَ دينًا فقدْ صارَ شارِعًا، ومَن كانَ هوَ يشرَعُ لنفسهِ الدِّينَ فلا دِينَ له،

---

(١) الحصافة جودة الرأى .

(٢) اكلهم نابا : يصفه بقلة الشره . وفى النسختين وآكلهم نابا بالمد : يصفه بالنهم والشره .

قد يَشْتبهُ الدّينُ والرَّأيُ فى أماكِنَ ، لولاَ تَشَابُهُهُمَا لم يحتَاجا الي الفَصْلِ •

العُجْبُ آفةُ العَقْلِ ، واللَّجَاجَةُ قُعُودُ الهَوَى، والبُخل لِقَاحُ الحِرْصِ ، والمِراء فَسَادُ اللِّسَانِ ، والحَمِيَّةُ سَبَبُ الجَهْلِ والأَنَفُ تَوْأَمُ السَّفَهِ . والمُنَافَسَةُ أُخْتُ العَدَاوَةِ .

إِذَا هَمَمْتَ بخَيْرٍ ، فَبَادِرْ هوَاكَ لا يَغْلِبْكَ وإِذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ . فَسَوِّفْ هوَاكَ لعَلَّكَ تظفَرُ . فَإِنَّ مامَضَى مِنَ الأَيَّامِ والسَّاعَاتِ على ذَلكَ هوَ الغُنْمُ .

لا يمْنعَنَّكَ صِغَرُ شَأْنِ آمْرِيءٍ مِنَ آجْتِنَاءِ ما رَأَيْتَ مِنْ رأْيِه صوَابًا ، والاَصْطِفَاءِ لِمَا رَأَيتَ مِنْ أَخلاقِهِ كرِيمًا فَإِنّ اللُّؤْلُؤَةَ الفَائِقَةَ لا تُهَانُ لِهوَانِ غائِصِهَا الَّذي آسْتَخْرَجَهَا .

مِنْ أَبْوَابِ التَّرَفُّقِ (١) والتَّوْفِيقِ في التَّعَلُّمِ ، أَن يكُونَ وجهُ الرَّجُلِ الَّذي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ العِلْمِ والأَدَبِ

---

(١) فى نسخة التوفق .

فيما يُوافِقُ طَاعَةَ ويكُونَ لهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وقَبُولٌ. فلا يَذْهَبُ عَنَاؤهُ في غَيْرِ غَنَاءٍ، ولا تفنى أَيَّامُهُ في غيرِ دركٍ. ولا يَسْتَفْرِغُ نَصيبَهُ فيما لا يَنْجَعُ (١) فيهِ ولا يكُونُ كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يعمّرَ أَرْضاً تَهَمَةً فغَرَسَها جوزاً ولوزاً، وأَرْضاً جَلْسًا (٢) فغرَسَهَا نخلاً وموزاً.

العِلْمُ زَينٌ لصاحِبِهِ في الرَّخاءِ ومُنْجَاةٌ لهُ في الشِّدَّةِ، بالأَدَبِ تعمُرُ القلُوبُ، وبالعِلْمِ تَسْتَحْكِمُ الأَحْلامُ العَقلُ الذَّاتيُّ (٣) غيرُ الصَّنيعِ، كالأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الخَرَابِ.

مِمَّا يدُلُّ على معرِفَةِ اللهِ وسَبَبُ الإِيمَانِ، أَنْ يُوَكِّلَ بالغَيْبِ لِكُلِّ ظاهِرٍ مِنَ الدُّنيا صغيرٍ أَو كَبيرٍ عَيْناً فهوَ

---

(١) ينجع فيه : اى يؤثر فيه.

(٢) الارض التهمة : المنخفضة. والجلس بالفتح الارض المرتفعة عن الغور.

(٣) نسخة العقل الزاكى

يُصَرِّفُهُ ويحرِّكُهُ . فمَنْ كَانَ مُعْتَبِرًا بِالجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلْيَنْظُرْ إِلى السَّمَاءِ فسيَعلَمُ أَنَّ لهَا ربًّا يُجْرِي فَلَكَها ويُدَبِّرُ أَمْرَهَا ، ومن اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فلْيَنْظُرْ إِلى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ فَسَيَعْرِفُ أَنَّ لها مُدَبِّرًا يُنْبِتُهَا ويُزَكِّيهَا ويُقَدِّرُ لها أَقْوَاتَهَا مِن الأَرْضِ وَ الماءِ ويُوَقِّتُ لهَا زمَانَ نباتِهَا وزَمانَ تهشُّمِهَا ، وأَمْرِ النُّبُوَّةِ والاحْلامِ وما يحْدُثُ في أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حيثُ لا يعلمُون ، ثمَّ يظهَرُ منهُم بالقَوْلِ وَ الفِعْلِ ، ثمَّ اجتماعِ العُلماءِ وَ الجُهَّالِ ، والمُهْتَدِينَ والضُّلاَّلِ ، علي ذِكْرِ اللهِ وتعظيمِهِ واجتماعِ مَنْ شكَّ في اللهِ وكَذَّبَ بِهِ على الإِقْرَارِ بِأَنَّهم أُنْشِئُوا حدِيثاً ، ومعرِفَتِهِمْ أَنَّهُم لم يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُم

فكُلُّ ذلك يهْدِي الى اللهِ ويدُلُّ على الَّذي كانَتْ مِنْهُ هذِهِ الأُمُورُ ، مَعَ ما يزِيدُ ذلك يقِيناً عنْدَ المُؤْمِنين بأَنَّ اللهَ حقٌّ كبيرٌ ولا يَقْدِرُ أَحدٌ علي أَنْ يُوقِنَ أَنَّه باطل(١)

---

(١) نسخة ولا يقدر احد انه بالباطل .

انَّ للسُّلْطَانِ المُقْسِطِ (١) حقًّا لا يصلُحُ بخَاصَّةٍ ولا عامَّةٍ امرٌ الاَّ بإرَادَتِه . فَذُو اللُّبِّ حقيقٌ أنْ يُخْلِصَ لهُمُ النَّصيحَةَ ، ويَبْذُلَ لهمُ الطَّاعةَ ، ويكْتُمَ سِرَّهم ، ويزَيِّنَ سيرَتَهم . ويَذُبَّ بلِسانِه ويَدِه عَنْهم ، ويتوَخَّى مرْضاتِهِم ويكُونَ مِنْ أمْرِهِ المُؤَاتَاةُ (٢) لهم والايثَارُ لأهْوَائهم ورأْيِهِم على هَوَاهُ ورأيِهِ . ويقَدِّرَ الأمُورَ على مُوَافَقَتِهِم وإنْ كان ذَلِكَ لهُ مُخالِفًا . وأنْ يكونَ منهُ الجِدُّ فى المُخالَفَةِ لمنْ جانَبَهُم وجهِلَ حقَّهم ، ولا يُوَاصِلَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَنْ لا تُباعِدُ مُوَاصَلَتُهُ إيَّاهُ منهم ولا تَحْمِلُهُ عدَاوَةُ أحدٍ لهُ ولا إضْرَارٌ به على الاضْطِغَانِ (٣) عليهم ، ولا مُوَاتاةُ أحدٍ على الاسْتِخْفَافِ بشَيءٍ منْ امُورِهِم والانْتِقاضِ لشيءٍ من

---

(١) القسط العدل .

(٢) المؤاتاة الموافقة .

(٣) الاضطغان الانطواء على الحقد .

حقهم ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم، ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم، ولا يبطر اذا أكرموه ولا يجترئ عليهم إذا قربوه، ولا يطغى إذا سلطوه، ولا يلحف (١) اذا سألهم ولا يدخل عليهم المؤونة ولا يستثقل ما حملوه، ولا يغتر بهم (٢) اذا رضوا عنه، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه. وأن يحمدهم على ما أصاب من خير منهم أو من غيرهم فإنه لا يقدر أحد على أن يصيبه بخير الا بدفاع الله عنه بهم.

مما يدل على علم العالم معرفته ما يدرك من الأمور وإمساكه عما لا يدرك، وتزيينه نفسه بالمكارم، وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر ولا عجب،

---

(١) الالحاف فى المسألة : الالحاح .

(٢) فى نسخة : ولا يغتر عليهم . وربما يكون الغرور من حالة الرضى عنه .

ومَعْرِفَتُهُ زَمَانَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَبَصَرُهُ بِالنَّاسِ ، وأَخْذُهُ بِالْقِسْطِ ، وإِرْشادُهُ الْمُسْتَرْشِدَ ، وحُسْنُ مُخَالَقَتِهِ خُلَطَاءَهُ ، وتَسْوِيَتُهُ بينَ قَلْبِهِ ولِسَانِهِ ، وتَحَرِّيهِ الْعَدْلَ فِى كُلِّ أَمْرٍ ، ورَحْبُ ذَرْعِهِ فِيما نَابَهُ ، واحْتِجَاجُهُ بِالْحُجَجِ فِيما عَمِلَ ، وحُسْنُ تَبْصِيرِهِ .

مَنْ أَرَادَ انْ يُبْصِرَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الآخِرَةِ ، فَالْعِلْمُ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ ذَلِكَ ، ومَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْصِرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ، فَبِالأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ تَدُلُّ عَلَيْهِ .

لِيَكُنِ الْمَرْءُ سَؤُولاً ، ولْيَكُنْ فَصُولاً بينَ الحَقِّ والْبَاطِلِ ، ولْيَكُنْ صَدُوقًا لِيُؤْمَنَ على ما قَالَ ، ولْيَكُنْ ذَا عَهْدٍ لِيُوَفَّى لهُ بِعَهْدِهِ ، ولْيَكُنْ شَكُورًا لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيَادَةَ ، ولِيَكُنْ جَوَادًا لِيَكُونَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً ، ولِيَكُنْ رَحِيمًا بِالْمَضْرُورِينَ لِئَلاَّ يُبْتَلَى بِالضُّرِّ ، ولْيَكُنْ وَدُودًا لِئَلاَّ يَكُونَ مَعْدِنًا لأَخْلاَقِ الشَّيْطَانِ ، ولْيَكُنْ حَافِظًا لِلِسَانِهِ مُقْبِلاً على شَأْنِهِ لِئَلاَّ يُؤْخَذَ

بما لم يجترم ، وليكن متواضعا ليفرح له بالخير ولا يحسد عليه ، وليكن قنعا لتقر عينه بما أوتي ، وليسر للناس بالخير لئلا يؤذيه الحسد ، وليكن حذرا لئلا تطول مخافته ، ولا يكونن حقودا لئلا يضر بنفسه إضرارا باقيا وليكن ذا حياء لئلا يستذم (١) الى العلماء فإن مخافة العالم مذمة العلماء أشد من مخافته عقوبة السلطان .

-ياة الشيطان ترك العلم ، وروحه وجسده الجهل ، ومعدنه في أهل الحقد والقساوة ، ومثواه في أهل الغضب ، وعيشه في المصارمة (٢) ورجاؤه في الاصرار على الذنوب .

وقال : لا ينبغي للمرء ان يعتد بعلمه ورأيه مالم يذاكره ذوو الألباب ويجامعوه (٣) عليه فإنه لا يستكمل

---

(١) استذم الرجل الى الناس ، أتى بما يذم عليه .

(٢) المصارمة : المقاطعه .

(٣) جامعه على الرأى : اجتمع معه ووافقه .

علمُ الأشياءِ بالعقلِ الفَرْدِ .

أَعْدَلُ السّيرِ أنْ تَقيس النّاسَ بنفْسِكَ ، فلاَ تأْتي إليهمْ إلاَّ ماترضى ان يُؤْتَى إليْكَ . وأنْفعُ العقْلِ ان تُحْسِنَ المعيشةَ فيما أُوتِيتَ منْ خيرٍ، وأن لا تكْترثَ مِنَ الشّرِّ بمَا لم يُصِبْكَ، ومِنَ العِلمِ أنْ تعلمَ أنّكَ لا تعلمُ بمَا لا تعلمُ.

ومِنْ احسنِ ذوي العقُولِ عقْلاً مَنْ أَحْسَنَ تقْديرَ أمرِ معاشِهِ ومَعَادِهِ تقْديرًا لا يفْسِدُ عليهِ واحِداً منهُما الآخَرُ (١) فان اعياهُ ذَلِكَ رَفَضَ الأَدْنى وآثرَ عليهِ الأَعظَم.

وقَالَ : المُؤْمنُ بشَىءٍ منَ الأَشْيَاءِ وإنْ كانَ سِحْرًا خيرٌ ممَّنْ لا يؤْمِنُ بشَيءٍ ولا يرْجُو مَعَادًا .

لا تُؤدِّي التّوْبَةُ أَحَداً الى النّارِ . ولا الإِصْرَارُ على الذّنوبِ أحَدًا الى الجنّةِ.

مِنْ أفضلِ اعمالِ البرِّ ثلاثُ خِصالٍ :الصّدقُ في الغَضَبِ

---

(١) فى نسخه لايفسد عليه واحدا منهما نفاذ الآخر .

والجُودُ في العُسْرَةِ، والعفوُ عِنْدَ القُدْرَةِ.

رَأسُ الذُّنوبِ الكَذِبُ: هوَ يُؤَسِّسُها وهوَ يتفقّدُها ويُثَبّتُها. ويَتَلَوَّنُ ثلاثةَ ألْوانٍ: بالأُمْنِيَّةِ والجُحُودِ والجَدَلِ. يبْدُوا لصَاحبِهِ بالأُمْنِيَّةِ الكَاذبَةِ فيما يُزَيّنُ لهُ منَ الشَّهَوَاتِ فيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بأَنَّ ذلكَ سيَخْفَى، فإذَا ظَهَرَ علَيْهِ قَابلَهُ بالجُحُودِ والمُكَابرَةِ فإنْ أعْيَاهُ ذَلكَ خَتَمَ بالجَدَلِ فخَاصَمَ عَنِ البَاطِلِ، ووَضَعَ لهُ الحُجَجَ، والْتَمَسَ بهِ التَّثَبُّتَ، وكَابَرَ بِهِ الحَقَّ، حتى يَكُونَ مُسَارِعًا للضَّلالَةِ ومُكَابِرًا بالفَوَاحِشَ.

لا يثْبُتُ دِينُ المَرْءِ على حالَةٍ واحِدةٍ أبدًا، ولكِنّهُ لا يزَالُ إمَّا زَائِدًا، وإمَّا نَاقِصًا.

مِنْ علاَمَاتِ اللّئيمِ المُخَادِعِ أنْ يَكُونَ حَسَنَ القَوْلِ سَيّئَ الفِعْلِ، بَعِيدَ الغَضَبِ، قَرِيبَ الحسَدِ، حَمُولاً للفُحْشِ، مُجَازِيًا بالحِقْدِ، مُتَكَلِّفًا للجُودِ، صَغِيرَ الخَطَرِ،

(١) مُتَوَسّعاً فيما لَيْسَ لَهُ ، ضَيّقاً فيما يملكُ .

وكَانَ يُقَالُ إِذَا تخالَجتْكَ الأُمورُ ، فاشْتَغِلْ بأعْظَمِهَا خَطَرًا، فَإِنْ لمْ تَستَبِنْ ذلكَ ، فأرجاهَا دَرْكًا، فَإِنْ اشْتَبَهَ ذلِكَ، فأجْدَرُهاأنْ لا يَكُونَ له مَرْجُوعٌ حتّي تُوَلّي فُرْصَتُهُ.

وكَانَ يُقَالُ الرِّجَالُ أَرْبعَةٌ ، إِثْنَانِ تَختَبِرُ مَاعِنْدَهُما بالتَّجْرِبَةِ ، واثْنَانِ قَدْ كُفِيتَ تجْرِبَتَهُما.

فأَمَّا اللّذَانِ تحْتَاجُ الى تجْرِبَتِهِمَا ، فَإِنَّ احَـدَهُمَا بَرٌّ كَانَ مَعَ ابْرَارٍ ، والآخَرُفاجِرٌ كَانَ مَعَ فُجَّارٍ ، فإنّكَ لاتَدْرِي لَعَلَّ البَرَّ منْهُما اذَا خالَطَ الفُجَّارَ أنْ يَتَبدَّلَ فيَصيرَ فَاجِرًا ، ولعَلَّ الفاجِرَ منْهُما اذا خَالطَ الأَبْرَارَ انْ يتبدّلَ بَرًّا،فيتَبَدَّلَ البرُّفاجرًا والفاجرُ بَرًّا :

وأَمَّا اللّذَانِ قدْ كُفِيتَ تجْربَتَهُما،وتبَيَّنَ لكَ ضوْءُ امرِهِمَا

---

(١) صغير الخطر : أى حقير المنزلة والمكانه وضده رفيع القدر والمنزلة : كما سيأتى فى الفصل التالى .

فانَّ احَدَهُما فاجرٌ كَانَ في أبْرَارٍ، والآخرُ بَرٌّ كان فى فُجَّار.

حقٌّ على العَاقِلِ أنْ يَتَّخِذَ مِرْآتينِ. فَيَنْظُرَ من إحْدَاهُمَا في مَسَاوِي نفسِهِ، فيَتَصَاغَرَ بِهَا ويُصْلِحَ ما آستَطَاعَ مِنْهَا وينْظُرَ في الأُخْرَى فى مَحَاسِنِ النَّاسِ، فيُحَلِّيَهَا بِهَا. ويأْخُذَ ما آستَطَاعَ مِنهَا.

إحْـــذَرْ خُصُومَةَ الأَهْلِ والْوَلَدِ والصَّدِيقِ والضَّعِيفِ. وآحْتَجَّ عليْهِم بِالحُجَجِ.

لا يُوقِعَنَّكَ بَلاءٌ تَخَلَصتَ مِنْهُ في آخرَ لَعَلَّكَ لاتَخْلُصُ منهُ.

الْوَرِعُ لا يَخْدَعُ، والأَرِيبَ لا يُخْدَعُ، مِنْ ورَعِ الرَّجلِ انْ لا يَقُولَ مالا يَعْلَمُ ومِنَ الإِرْبِ (١) أنْ يَتَثَبَّتَ فيما يَعْلَمُ.

وكانَ يُقَالُ: عمَلُ الرَّجُلِ فِيما يَعْلَمُ انَّهُ خَطَأٌ هوًى، والْهَوَى آفةُ الْعَفَافِ. وتَرْكُهُ الْعَمَلَ بمَا يعْلَمُ انَّهُ صوَابٌ تهاوُنٌ، والتَّهَاوُنُ آفَةُ الدّينِ. وإِقْدَامُهُ على مالا يَدْرِي.

---

(١) الارب بكسر الهمزة وفتحها : الدهاء والبصر بالامور .

أصَوَابٌ هُوَ امْ خَطأٌ جِماحٌ ، والجِمَاحُ (١) آفَةُ العَقْلِ .

وكَانَ يُقَالُ : وقِّرْ مَنْ فَوْقَكَ ، ولِنْ لمَنْ دُونَكَ وأحْسِنْ مُؤاتَاةَ أكْفَائِكَ (٢) ، ولِيَكُنْ أثَرَ ذٰلِكَ عِنْدَكَ مُؤاتَاةُ الإخْوَانِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّ اجْلالَكَ مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بِخُضُوعٍ مِنْكَ لهُمْ ، وأَنَّ لِينَكَ لمَنْ دُونَكَ لَيْسَ لالْتِماسِ خِدْمَتِهِمْ .

خمْسَةٌ غيرُ مغتَبِطِينَ فى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ يَتَنَدَّمُونَ عليْهَا الوَاهِنُ (٣) إِالمُفَرِّطُ إِذَا فَاتَهُ العَمَلُ . والمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وصَدِيقِهِ اذَا نَابَتْهُ النَّوائِبُ ، والمُسْتَمْكِنُ مِنْهُ عَدُوُّهُ لِسُوءِ رأيِهِ اذَا تَذَكَّرَ عَجْزَهُ . والمُفَارِقُ للزَّوْجَةِ الصَّالحَةِ اذَا ابْتُلِيَ بِالطَّالحَةِ ، والجرِيُّ علي الذُّنُوبِ اذَا حَضَرَهُ المَوْتُ

---

(١) الجماح : ركوب الهوى .

(٢) الاكفاء : الامثال والنظراء .

(٣) الواهن ، الضعيف فى الامر والعمل .

أمورٌ لا تَصْلُحُ إلاَّ بِقَرائنِها : لا ينفعُ العقْلُ بِغيْرِ ورَعٍ ، ولا الحِفْظُ بِغيرِ عَقْلٍ ولا شِدَّةُ البَطْشِ بغيرِ شِدَّةِ القلْبِ ، ولا الجَمَالُ بِغيرِ حَلاوةٍ . ولا الحسَبُ بغيرِ أدَبٍ ، ولا السُّرُورُ بِغيرِ أمْنٍ ، ولا الغِنى بِغَيْرِ جُودٍ ، ولا المُروءةُ بِغيرِ تَواضُعٍ ، ولا الخَفْضُ بِغيرِ كِفَايةٍ ، ولاَ الاَجْتِهادُ بِغيرِ تَوْفِيقٍ .

أُمُورٌ . هُنَّ تَبَعٌ لِأُمُورٍ : فالمُروآتُ كُلُّها تَبَعٌ لِلْعَقْلِ والرَّأْيُ تَبَعٌ لِلتَّجْرِبَةِ . والغِبْطَةُ (١) تبَعٌ لِحُسْنِ الثَّنَاءِ ، والسُّرُورُ تبَعٌ لِلأَمْنِ . والقَرَابَةُ تبَعٌ لِلْمَوَدَّةِ . والعَمَلُ تبَعٌ لِلْقَدْرِ . والْجِدَةُ (٢) تبَعٌ لِلإِنْفَاقِ ،

أَصْلُ العَقْلِ التَّثَبُّتُ وثَمَرَتُهُ السَّلامةُ . وأَصْلُ

---

(١) الغبطة : ان تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد .

(٢) الجدة : الكثايه . وفى نسخة الجد بالفتح . وهو الرزق .

الوَرَعِ القَنَاعةُ . وثَمرَتهُ الظَّفَرُ • وأُصْلُ التَّوْفِيقِ العَمَلُ ، وثَمَرَتهُ النُّجْحُ ،

لا يُذْكَرُ الفَاجِرُ فى العُقَلاءِ ، ولا الكَذُوبُ في الأَعِفَّاءِ . ولاَ الخذُولُ فى الكُرَماءِ ولا الكفُورُ بِشَىءٍ مِنَ الخَيْرِ .

لا تُؤَاخِيَنَّ خبًّا . (١) ولا تَسْتَنْصِرَنَّ عاجِزًا . ولا تَسْتَعِينَنَّ كَسِلاً •

ومِنْ أَعظَمِ مايُرَوِّحُ بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ أَنْ لا يَجْرِىَ لِمَا يَهْوَى . ولَيْسَ كَائِنًا . إِلاَّ الى (٢) مالا يَهْوَى ، وهُو لا مَحالةَ كائِنٌ

إِغْتَنِمْ مِنَ الخيرِ ما تعَجَّلْتَ، ومِنَ الأَدْوَاءِ ماسَوَّفْتَ ،

---

(١) الخب بفتح الخاء وكسرها ، الرجل المخادع .

(٢) هكذا فى الاصل ولعل الصواب ولا الا يهوى الخ .

ومِنَ النَّصَبِ مَاعَادَ عَلَيْكَ ، ولا تفرَحْ بِالْبَطالةِ ، ولا تجْبنْ عَنِ العَمَلِ .

مَنِ آستَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَبَطِرَ ، وآستَصغَرَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَتَهَاوَنَ ، واحْتَقَرَ مِنَ آلاِثْمِ شَيْئًا فَاجْتَرَا عَلَيْهِ ، وآغْتَرَّ بِعَدُوٍّ وإِنْ قَلَّ فَلَمْ يَحْذَرْهُ : فَذَلِكَ مِنْ ضِيَاعِ الْعَقْلِ

لا يَسْتَخِفُ ذُو الْعَقْلِ بِأَحَدٍ ، وأَحَقُّ مِنْ لَمْ يُسْتَخَفَّ بِهِ ثَلاثَةٌ : الأَتْقِيَاءُ ، والْوُلاةُ ، والإِخْوَانُ ، فإِنَّهُ مَنِ آسْتَخَفَّ بِالأَتْقِيَاءِ ، اهْلَكَ دِينَهُ ، ومَنِ آسْتَخَفَّ بِالْوُلاةِ ، أَهْلَكَ دُنْيَاهُ ، ومَنِ آستَخَفَّ بِالإِخْوَانِ ، أَفْسَدَ مُرُوءَتَهُ .

مَنْ حَاوَلَ الأُمورَ ، آحْتَاجَ فِيهَا الى سِتٍّ : العِلم والتَّوْفِيقِ ، والفُرْصَةِ والأَعْوَانِ والادَبِ والاجْتِهَادِ وهُنَّ أَزْوَاجٌ

فالرَّأْيُ والأَدَبُ زَوْجٌ ، لايَكْمُلُ الرَّأْيُ بِغَيْرِ الأَدَبِ ولا يكْمُلُ الأَدَبُ ، الاَّ بِالرَّأْيِ ،

والأعْوَانُ والفُرْصَةُ زَوْجٌ ، لا يَنْفَعُ الأعْوَانُ الاَّ عِنْدَ الفُرْصَةِ . ولاَ تَتِمُّ الفُرْصَةُ الاَّ بحُضُورِ الأعْوَانِ ،

والتَّوْفِيقُ والاجْتِهادُ زَوْجٌ . فالاجْتِهادُ سَبَبُ التَّوْفِيقِ وبِالتَّوْفِيقِ يَنْجَحُ الاجْتِهَادُ

يَسْلَمُ العَاقِلُ مِنْ عِظَامِ الذُّنُوبِ والعُيُوبِ بِقناعةِ ومُحَاسَبَةِ النَّفْسِ

لا يَجِدُ العَاقِلَ يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ . ولا يسأَلُ مَنْ يَخافُ مَنْعَهُ ، ولا يَعِدُ بِمَا لا يَجِدُ انجازَهُ . ولا يَرْجُو ما يُعَنَّفُ بِرَجَائِهِ . ولا يَقْدِمُ على مَنْ يَخافُ العَجزَ عنهُ

وهو يُسَخِّي (١) بِنفسِهِ عَمَّا يَغْبِطُهُ بهِ القوَّالُون ، خُرُوجاً مِنْ عَيْبِ التَّكْذِيبِ ، ويسَخِّي بِنفسِهِ عَمَّا يَنالُ السَّائِلُون ، سَلامَةً مِنْ مَذلَّةِ المسْألةِ . ويُسَخِّي بِنفسِهِ عَنْ مَحْمَدَةِ المواعِيدِ ، بَرَاءَةً مِنْ مَذمَّةِ الخُلْفِ . ويُسَخِّي بِنفسِهِ عَنْ

---

(١) سخى نفسه وبنفسه عن الشيء : تركه ولم تنازعه نفسه فيه .

فرح الرجاء ، خوف الإكداء(١) ويسخيه عن مراتب المقدمين ما يرى من فضائح المقصرين .

لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه .

وليس من العقل أن يحرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها

حاز الخير رجلان : سعيد ومرجو . فالسعيد الفالج (٢) والمرجو من لم يخصم ، والفالج الصالح مادام في قيد الحياة وتعرض الفتن في مخاصمة الخصماء من الأهواء والأعداء

السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول ، لا شيء غيرها ، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته ، لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها

والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول : لا شيء

---

(١) الاكداء : خيبة وعدم الظفر بالحاجة .

(٢) الفالج : المستظهر على خصمه والفائز . وقوله من لم يخصم : أي من لم يغلب في الخصومة .

غَيْرُهَا ، فَيَجْعَلُ اللّٰهُ لهُ التَّنْغِيصَ فى الدُّنْيا الَّتى آثَرَ مَعَ الخِزْيِ الَّذِي يلقَى بعْدَها .

الرِّجالُ أَرْبَعَةٌ جَوَادٌ وبَخِيلٌ . ومُسْرِفٌ ، ومُقْتَصِدٌ فالجَوَادُ الَّذِي يوَجِّهُ نَصِيبَ آخِرَتِهِ و نَصِيبَ دُنْيَاهُ جَمِيعًا فى أَمْرِ آخِرَتِهِ . والبَخِيلُ الَّذِي يُخْطِىءُ واحِدَةً منهُمَا نَصِيبَهَا والمُسْرِفُ الَّذِي يَجْمَعُهما لِدُنْيَاهُ . والمُقْتَصِدُ الَّذِي يلْحَقُ بِكُلِّ واحِدَةٍ مِنهُمَا نَصِيبَهَا .

أَغْنَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا

قالَ رجل لِحَكِيمٍ : ماخيرُ مايُؤْتَى للمَرْءِ؟ قالَ : غَرِيزَةُ عَقْلٍ . قالَ فإِنْ لمْ يكُنْ ؟ قال : فَتَعَلُّمُ عِلْمٍ قَالَ : فإِنْ حُرِمَهُ ؟ قال: صِدْقُ اللِّسَانِ . قَالَ : فَإِنْ حُرِمهُ . قالَ سكُوتٌ طَوِيلٌ . قالَ فإِنْ حُرِمهُ قالَ مِيتَةٌ عاجِلَةٌ ،

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الإِنْسَانِ خَفَاءُ عُيُوبه علَيْهِ . فَإِنَّ مَنْ خَفِىَ علَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيَتْ علَيْـهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ . ومَنْ

خَفِيَ عَلَيْـهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحاسِنُ غَيْرِهِ فَلَنْ يُقْلِـعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذي لا يَعْرِفُ. وَلَنْ يَنَالَ مَحاسِنَ غَيْرِهِ الَّتي لا يُبْصِرُ أَبَدًا

خُمُولُ الذِّكْرِ أَجْمَلُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ •

لا يُوجَدُ الفَخُورُ مَحْمُودًا . ولا الغَضُوبُ مَسْرُورًا . وَلَا الحُرُّ حَرِيصًا ، ولا الكَرِيمُ حَسُودًا • ولا الشَّرِهُ غَنِيًّا . ولا المَلُولُ ذَا إِخْوَانٍ .

خِصَالٌ يُسَرُّ بِها الجاهِلُ . كُلُّها كائِنٌ عَلَيْهِ وَبَادٍ ، منها أَنْ يَفْخَرَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمُرُوءَةِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ . ومِنْها أَنْ يَرَى بِالأَخْيَارِ مِنَ الاسْتِهانَةِ والجَفْوَةِ مايُشْمِتُهُ بِهِمْ . ومِنْهَا أَنْ يُنَاقِلَ (١) عَالِمًا وَدِيعًا مُنْصِفًا لَهُ فِي القَوْلِ فَيَشْتَدَّ صَوْتُ ذٰلِكَ الجَاهِلِ عَلَيْـهِ ثُمَّ يُفْلِجُهُ نُظَرَاؤُهُ مِنَ الجُهَّالِ حَوْلَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ وكَثْرَةِ الضَّحِكِ ، ومِنْها : أَنْ تَفْرُطَ مِنْهُ الكَلِمَةُ أَوِ الفِعْلَةُ المُعْجِبَةُ لِلْقَوْمِ فَيَذْكُرَهَا ، ومِنْها

---

(١) المناقلة : المحادثه والنقل فتحتين مراجعة الكلام في صخب

أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فِي الْمَحْفِلِ وعِنْدَ السُّلْطَانِ فَوْقَ مَجَالِسِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَلَيْهِ ،

مِنَ الدَّلِيلِ على سَخَافَةِ الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَكُونَ مايُرَى مِنْ ضَحِكِهِ لَيْسَ علي حَسَبٍ ما عِنْدَهُ مِنَ القَوْلِ ، أوالرَّجُلِ يُكَلِّمُ صاحِبَهُ فيُجَاذِبُهُ الكَلامَ لِيَكُونَ هُوَ المُتَكَلِّمَ أَوْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَغَ وأَنْصَتَ له (١) . فاذا نَصَتَ لهُ ، لم يُحْسِنِ الكَلامَ .

فَضْلُ (٢) العِلْمِ في غيرِ الدِّينِ مَهْلَكَةٌ ، وكَثْرَةُ الأَدَبِ في غيرِ اللهِ رِضْوَانِ اللهِ ومَنْفَعَةِ الأَخْيَارِ قائدٌ الى النَّارِ

والحِفْظُ الذَّاكِي الوَاعِي لغَيْرِ العِلْمِ النَّافِعِ مُضِرٌّ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ . والعَقْلُ غيرُ الوَازِعِ عَنِ الذُّنُوبِ خَازِنُ الشَّيْطَانِ

---

(١) انصت له : كنصت سكت للاستماع
(٢) فضل العلم : أى زيادته

لا يُؤْمِنَنَّكَ شَرَّ الجاهِلِ قَرَابَةٌ ،لا جِوَارٌ ولا إِلْفٌ ، فَإِنَّ أَخْوَفَ ما يكُونُ الإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مايكُونُ مِنْهَا ، وكَذَلِكَ الجاهِلُ ، ان جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ ، وانْ ناسَبَكَ جَنَي عليْكَ ، وإِنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مالا تُطِيقُ ، وإِنْ عاشَرَكَ آذاكَ وأَخافَكَ ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضارٌّ ، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وعِنْدَ المُوافقَةِ في الدِّينِ قائِدٌ الى جَهَنَّمَ ،

فأَنْتَ بِالهَرَبِ منْهُ ، أَحَقُّ مِنْكَ بِالهَرَبِ مِنْ سُمِّ الأَساوِدِ . والحَرِيقِ المَخُوفِ . والدَّيْنِ الفَادِحِ . والدَّاءِ العَياءِ (١)

وكَانَ يُقالُ : قارِبْ عَدُوَّكَ بَعْضَ المُقَارَبَةِ ، تَنَلْ حَاجَتَكَ. ولا تُقارِبْهُ كلَّ المُقَارَبَةِ فَيَجْتَرِئَ علَيْكَ عدُوُّكَ وتَذِلَّ نَفْسُكَ.

(١) الاساود: العظيم من الحيات. والدين الفادح : أى الثقيل. والداء العياء : الذى لا يبرأ منه .

، يرغبَ عنْكَ ناصِرُكَ ، ومثَلُ ذَلِكَ مثَلُ العُودِ المَنْصُوب في الشَّمْسِ ، إنْ أَمَلْتَهُ قليلاً . زَادَ ظِلُّهُ . وانْ جاوَزْتَهُ الحَدَّ في إِمالتِهِ نقصَ الظِّلُّ ،

الحازِمُ لا يأمَنُ عدُوَّهُ على حالٍ ، ان كانَ بعيدًا ، لمْ يأْمَنْ مُغاوَرَتَهُ (١) ، وانْ كانَ قَرِيبًا ، لمْ يأْمَنْ مُوَاثَبَتَه وإنْ كانَ منْكَشِفًا ، لمْ يأْمَنِ آسْتِطْرَادَهُ . وكُمونهُ (٢) وإِنْ رآهُ وحيدًا ، لمْ يأْمَنْ مكْرَهُ .

المَلِكُ الحازِمُ يزْدَادُ بِرأْيِ الوُزَرَاءِ الحزَمَةِ كما يزْدادُ البحْرُ بموادّهِ من الأنهار ،

الظَّفرُ بالحزْمِ . والحَزْمُ بإجالةِ الرَّأْيِ . والرَّأْيُ بتحْصِينِ الأسْرَار

---

(١) المغاورة : من غاور أى شن الغارة عليه . وفى نسخة لم يامن معاودته .

(٢) الكمون : استخفاء الرجل فى مكمن بحيث لا يفطن له ثم ينتهز غرة العدو فينهض عليه . وفى نسخة وكمينه

إِنَّ المُسْتَشِيرَ وإنْ كانَ أَفْضَلَ مِنَ المُسْتَشارُ رأْيًا فَهُوَ يزْدَادُ برَأيِهِ رأْياً كما تزْدَادُ النَّارُ بالْوَدَكِ ضَوْءًا (١)

على المُسْتَشارِ مُوَافَقَةُ المُسْتَشِيرِ على صوَابِ ما يرى والرِّفْقُ بِهِ في تَبْصيرِ خطَاءٍ إنْ أتَى بِهِ ، وتَقْلِيبُ الرَّأْيِ فيما شَكَّا فيه حتَّى تَسْتَقِيمَ لهُمَا مُشَاوَرَتُهُما ،

لا يَطْمَعَنَّ ذُو الكِبْرِ في حُسْنِ الثَّناءِ ، ولا الخبُّ فى كَثْرَةِ الصَّدِيقِ . ولا السَّيِّئُ الأَدَبِ فى الشَّرَفِ . ولا الشَّحِيحُ فى المَحْمَدَةِ ، ولا الحَرِيصُ فى الإِخْوَانِ ، ولا المَلِكُ المُعْجَبُ بِثَبَاتِ المُلْكِ ،

صرْعَةُ اللِّينِ أشَدُّ اسْتِئْصالاً منْ صَرْعَةِ المُكابَرَةِ

أَرْبَعةُ أَشْيَاءَ لا يُسْتَقَلُّ مِنْها : قليل النَّارِ ، والمَرَضُ والعَدُوُّ والدَّيْنُ

أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّوْقيرِ المَلِكُ الحَلِيمُ ، العَالِمُ بِالأُمُورِ

---

(١) الودك محركة : الدسم والدهن من اللحم والشحم .

وفُرَصِ الأَعْمَالِ ومَوَاضِعِ الشِّدَّةِ واللِّينِ والغَضَبِ والرِّضاءِ والمُعاجاَةِ والأَناةِ (١) النَّاظِرُ في أَمْرِ يوْمِهِ وغَدِهِ وعَوَاقبِ أَعْمالِهِ ،

السَّبَبُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ العاجِزُ حاجَتَهُ هُوَ الَّذِي يَحُولُ بيْنَ الحازِمِ وبيْنَ طَلِبَتِهِ (٢)

انَّ أَهْلَ العَقْلِ والكَرَمِ يبْتَغُونَ الى كلِّ مَعْرُوف وُصْلَةً وسَبِيلاً . والمَوَدَّةُ بيْنَ الأَخْيارِ سَرِيعٌ اتِّصالُها بَطِيءٌ انقِطاعِها . مَثَلُ ذلكَ مَثَلُ كُوبِ (٣) الذَّهبِ الذي هوبَطيءُ الانْكِسارِ هَيِّنُ الإِصْلاحِ والمَوَدَّةُ بينَ الأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطاعُها ، بَطِيءٌ اتِّصَالُها . كالكُوزِ مِنَ الفَخَّارِ يكْسِرُهُ أَدْنى عَبَثٍ ثمَّ لا وصْلَ لهُ أَبَدًا .

والكَرِيمُ يمْنَحُ الرَّجُلَ موَدَّتَهُ عنْ لُقْيَةٍ (٤) واحدَةَ

---

(١) الاناة : الحلم (٢) طلبته بكسر اللام : الشيء المطلوب .
(٣) الكوب : كوز لا عروة له (٤) اللقية : المرة من اللقاء .

أَوْ مَعْرِفَةِ يَوْمٍ والَّئِيمُ لا يَصِلُ أَحَدًا الا عنْ رَغْبَةٍ أَو رَهْبَةٍ . وإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيا يَتَعاطَوْنَ فِيما بينَهُمْ أَمْرَيْنِ ويَتَوَاطَؤُونَ عَلَيْهِما : ذاتُ النَّفْسِ . وذَاتُ اليَدِ :

فأَمَّا المُتَبَادِلُونَ ذَاتَ اليَدِ فهُمُ المُتَعَاوِنُونَ المُسْتَمْتِعُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الانْتِفاعَ بِبَعْضٍ، مُتَاجَرَةً ومُكَايلَةً (١) ما التَّبَعُ والأَعْوَانُ والصَّدِيقُ والحَشَمُ الاَّ للْمالِ ولا يُظْهِرُ المَرُوءَةَ الاَّ المالُ ولا الرَّأْيُ ولا القُوَّةُ الاَّ بِالمالِ، ومن لا إِخْوَانَ لَهُ فلا أَهْلَ لهُ، ومَنْ لا أَوْلادَ لهُ، فلا ذِكْرَ لهُ . ومَنْ لا عَقْلَ لهُ، فلا دُنْيا لهُ ولا آخِرَةَ، ومَنْ لا مَالَ لهُ فلا شَيْءَ لهُ

والفَقْرُ دَاعِيَةٌ الي صَاحِبِهِ مَقْتَ النَّاسِ، وهُوَ مَسْلَبَةٌ

---

(١) اختلف النسخ في هذه الجملة من ذلك : و يتواصلون بدل ويتواطؤن . والمتباذلون بالذال المعجمة بدل المتبادلون ومعناهما قريب . ومناجزة بدل متاجرة وهذه الاخيرة اوقع بالمعنى .

لِلْعَقْلِ والمَرُوءَةِ ، ومَذْهَبَةٌ للْعِلْمِ والأَدَبِ ، ومَعْدِنٌ للتُّهْمَةِ ومَجْمَعَةٌ للبَلايا ،

ومنْ نَزَلَ بِهِ الفقْرُ والفاقَةُ ، لمْ يجِدْ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الحَيَاءِ ومنْ ذَهَبَ حيَاؤهُ ذَهَبَ سُرُورَهُ ، ومَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ ، مُقِتَ ، ومَنْ مقِتَ . أُوذِيَ . ومنْ أُوذِيَ ، حَزِنَ ، ومَنْ حَزِنَ ، فَقَدْ ذَهَبَ عقْلُهُ واَسْتَنْكِرَ حِفْظُهُ وفَهْمُهُ . ومَنْ أُصيبَ في عقْلِه وفَهْمِهِ وحِفْظِهِ كانَ أَكْثَرُ قوْلِه وعَمَلِهِ فِيما يكُونُ علَيْهِ لا لهُ ،

فَاذَا اَفْتقَرَ الرَّجُلُ اَتَّهمَهُ منْ كانَ لهُ مُؤْتمنًا ،وأَساءَ بِهِ الظَّنَّ منْ كانَ يظُنُّ بِه حسَنًا ، فإِذَا أَذْنَبَ غيرُهُ ظَنُّوهُ (١) . وكانَ للتُّهْمَةِ وسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا ،

وليْسَ مِنْ خِلَّةٍ هيَ للغَنِيِّ مدْحٌ الاَّ هيَ للفَقيرِ عيْبٌ : فان كانَ شُجاعًا ، سُمِّيَ أَهْوَجَ . وانْ كانَ جوَادًا ، سُمِّيَ

---

(١) ظنوه وفى نسخة أظنوه وكلاهما بمعنى اتهموه .

مُفْسِدًا ، وإنْ كانَ حَلِيما ، سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وانْ كانَ وقُورًا . سُمِّيَ بلِيدًا . وانْ كَانَ لسِنًا ، سُمِّيَ بلِيدًا . وانْ كانَ لسِنًا مِهْذارًا ، وانْ كانَ صَمُوتًا ، سُمِّيَ عَيِيًّا ،

وكانَ يُقالُ ، منِ ابْتَلَى بِمَرَضٍ فى جَسَدِهِ لا يُفارِقُه أَوْ بِفِرَاقِ الأَحبَّةِ والاِخْوَانِ أَو بِالْغُرْبةِ حيثُ لا يَعْرِفُ مَبِيتًا ولا مَقِيلاً ولا يرْجُو ، إِيابًا أَوْ بِفاقَةٍ تَضْطَرُّهُ إِلى المسأَلةِ ، فالحياةُ لَهُ موْتٌ والموْتُ لهُ راحةٌ .

وجَدْنَا البَلايا في الدُّنْيَا إِنَّما يسُوقُها الى اهْلِهَا الحِرْصُ والشَّرهُ . فلا يزَالُ صاحِبُ الدُّنْيا يتَقَلَّبُ فى بلِيَّةٍ وتعَبٍ مازَالَتْ خلَّتُهُ الحِرْصَ والشَّرَه .

وسَمِعْتُ العُلَماءَ قالُوا : لا عَقْلَ كالتَّدْبيرِ . ولا ورَعَ كالكَفِّ ، ولا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ ، ولا غِنًى كالرِّضى . وأَحَقُّ ماصُبِرَ علَيْهِ مالاسَبِيلَ الى تغْيِيرِه ، وأَفْضَلُ البرِّ الرَّحْمَةُ . ورَأْسُ المَوَدَّةِ الاَسترْسالُ ، ورَأْسُ العَقْلِ المعْرِفَةُ

بما يكونُ وما لا يكون ، وطِيبُ النفْسِ حُسْنُ الانْصِراف عمَّا لا سَبِيلَ اليه ، وليْسَ منَ الدُّنيا سُرُورٌ يعْدِلُ صُحْبَةَ الإِخْوَان ولا فِيها غَمٌّ يعْدِلُ غَمَّ فَقْدِهِمْ

لا يَتِمُّ حُسْنُ الكَلامِ الاَّ بحُسْنِ العَمَل ، كالمَرِيضِ الَّذي قدْ علِمَ دَواءَ نفسهِ ، فاذَا هُو لمْ يتَدَاوَ بِهِ لمْ يُغْنِه علْمُهُ .

الرَّجُلُ ذُو المُرُوَّةِ قدْ يُكْرَمُ على غيْرِ مالٍ ، كالأسَدِ الّذي يُهابُ وان كانَ عَقيرًا (١) والرَّجُلُ الَّذي لا مُرُوَّةَ لهُ يُهانُ وإِنْ كثُرَ مالُه ، كالكلْبِ الَّذي يهُونُ على النَّاسِ وانْ هُوَ طُوِّقَ وخُلْخِلَ

لِيَحْسُنْ تعاهُدُكَ نَفْسَكَ بما تَكُونُ بهِ للْخيْرِ أَهْلاً ، فانَّكَ اذَا فعَلْتَ ذٰلِكَ ، أَتاكَ الخَيْرُ يَطْلُبُكَ ، كما يَطْلُبُ المَاءُ السَّيْلُ الى الحُدُورةِ (٢)

---

(١) أى جريحاً .

(٢) الحدورة بالضم : ما انحدر من الارض

وقيلَ في اشياء ليس لها ثبَاتٌ ولا بقَاء : ظِلُّ الغَمامِ وخُلَّةُ (١) الأَشْرَارِ ، وعِشقُ النِّساء ، والنَّبأُ الكاذِبُ ، والمالُ الكثيرُ .

ولَيْسَ يفرَحُ العاقِلُ بالمالِ الكَثيرِ ، ولا يُحزِنهُ قِلَّتهُ ولكنْ مالهُ عقلُهُ وما قدَّمَ منْ صالحِ عملِهِ .

انَّ أَولى النَّاسِ بفَضْلِ السُّرورِ وكرَمِ العَيْشِ، وحُسْنِ الثَّناء ، مَنْ لا يبرَحُ رحلُهُ (٢) منْ اخوانِهِ وأَصْدِقائهِ منَ الصَّالحينَ موْطوأً ، ولا يزَالُ عِندَهُ منهمْ زِحامٌ ، ويَسُرُّهُم ويَسُرُّونَه ، ويكونُ منْ وراء حاجاتِهمْ . وأُمورِهمْ ، فإنَّ الكَريمَ اذا عثَرَ لمْ يستَقِلْ ، (٣) الاَّ بالكِرامِ ، كالفيلِ اذا وحِلَ لم يَستَخرِجهُ الاَّ الفِيلةَ .

---

(١) الخلة بالضم : الصداقة . والنبا : الخبر .

(٢) الرحل هنا : مسكن الرجل ومنزله وبيته .

(٣) استقاله : اذا ساله ان يرفعه من سقوطه .

لا يرى العاقلُ معروفاً صنعه . وانْ كان كثيراً ولوْ خاطرَ بنفسه وعرضها في وجوه المعْروف لم يرَ ذلكَ عيْباً ، بلْ يعلمُ أنَّما أخطرَ الفاني بالباقي واشترى العظيمَ بالصغيرِ .

وأغبطُ النَّاسِ عندَ ذوي العقْلِ ، اكْثرُهمْ سائلاً مُنْجداً ومُستجيراً آمناً .

لا تعدُّ غنيّاً منْ لمْ يُشارِكْ في مالهِ ، ولا تعدُّ نعيماً ما كانَ فيهِ تنغيصٌ وسوءُ ثناء . ولا تعـدُّ الغنْمَ غنْماً اذا ساقَ غرْماً (١) ، ولا الغرْمَ غرْماً اذا ساقَ غنْماً . ولا تعتَدَّنَ الحياةِ ما كانَ في فِراقِ الأحبَّةِ .

ومنَ المعونَةِ علي تسْليَةِ الهمومِ وسكونِ النفسِ لِقاءُ الأخِ أخاهُ ، وإفضاءُ كلِّ واحدٍ منهُما الى صاحبهِ

---

(١) الغرم بالضم : الدين والعذاب : قال ابو عبيدة (ان عذابها كان غراما) أي هلاكا والزاما .

بِبَثِّه(١) وإِذَا فُرِّقَ بين الأَليف وأَليفه ، فَقَدْ سُلبَ قَرَارَهُ وحُرِمَ سُرورَهُ . وقلَّ ماترانَا نخلفُ عَقَبَةً منَ البلاءِ . الاَّ صرْنا في أُخْرَى .

لقَدْ صدَقَ القائلُ الذي يقولُ : لا يزالُ الرَّجلُ مُسْتَمِرًّا مالم يعثُرْ . فاذَا عثَرمرَّةً واحدةً في الأَرْضِ الخَبَارِ(٢) لَجَّ بِهِ العثارُ . وانْ مَشَى في جدَدٍ (٣) لأَنَّ هذَا الإِنسانَ موكَّلٌ بِهِ البَلاءُ . فلايزَالُ في تَصَرُّفٍ وفي تَقَلُّبٍ لايدُومُ لهُ شَيْءٌ ولا يثْبُتُ معَهُ كما لا يَدُومُ لطالعِ النُّجومِ طلُوعهُ . ولا لِآفلها أُفُولَهُ ولكنَّها في تقلُّبٍ وتَعاقُبٍ : فلا يزَالُ الطَّالعُ يكُونُ آفِلاً . والآفلُ طالعًا

---

(١) البث بالفتح أشد الحزن .

(٢) الخبار : الارض السهلة اللينة التي يكثر فيها الحفر فتتهور فيها الاقدام ، ومن أمثالهم من تجنب الخبار أمن العثار .

(٣) الجدد بفتحات : الارض الغليظة المستوية

﴿ آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين ﴾

مطبوعات مكتبة المعارف بأول شارع محمد على

وتطلب منها

كتاب الهدايه الى الصراط المستقيم للاستاذ احمد بك زناتى
« المنتخبات العربية لمحمد أفندى حسن وامين عمر الباجورى
« سياسة الفحول فى تثقيف العقول للمرحوم حسن افندى توفيق العدل
« مرشد العائلات فى تربية البنين والبنات للمرحوم أيضا
« تهذيب الاخلاق لابن مسكويه
« كليله ودمنه
« الحيوان والانسان من رسائل اخوان الصفا
« الفوائد الفكريه للمرحوم عبد الله باشا فكرى
« النفحات العباسيه فى التهجى والمطالعة العربية
« مجموعة كلمات عربى وانجليزى

والمكتبه المذكوره مستعده لجميع ما يلزم للمدارس والمدرسين من كتب وأدوات وخرائط وخلافه

